ق والقرآن المجيد

مجلة فصلية تعنى بالشأن القرآني
تصدر عن وحدة الإصدارات
قسم الشؤون الفكرية والثقافية
العتبة الكاظمية المقدسة
العدد ٧٨/ السنة الحادية عشرة
١٤٤٦هـ - ٢٠٢٤م

إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ

مجلة فصلية تعنى بالشأن القرآني
تصدر عن وحدة الإصدارات/ قسم الشؤون الفكرية والثقافية/ العتبة الكاظمية المقدسة
العدد ٧٨ / السنة الحادية عشرة / ١٤٤٦هـ - ٢٠٢٤م

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق الوطنية
ببغداد (١٨٤٧) لسنة ٢٠١٣
زورونا: www.aljawadain.org

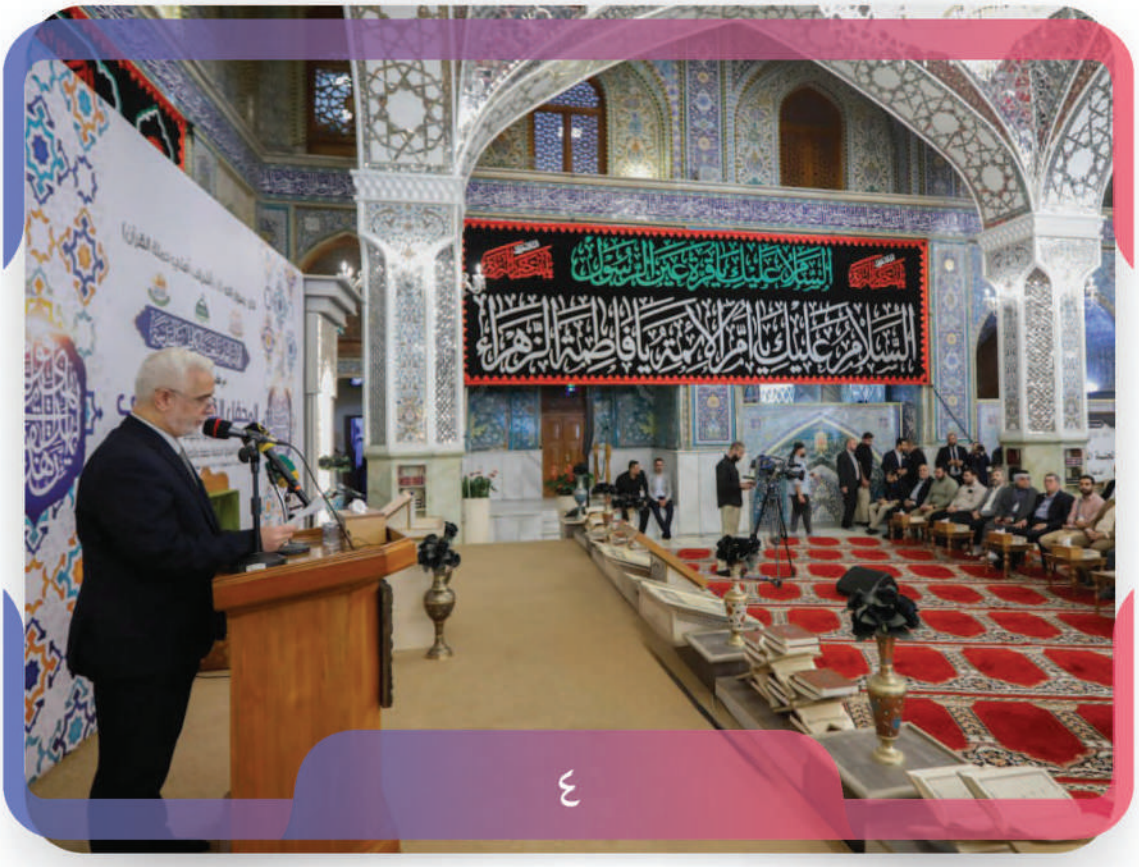

١٦ التكريم والتفضيل
٢٨ النصر والشهادة في القرآن الكريم
٢٠ الكشافات القرآنية
٣٢ العدل والمساواة في القرآن الكريم
٢٦ سلاح الأنبياء
٤٠ إشعاع من تحت الركام

المشرف العام
م. جلال علي محمد

رئيس التحرير
الشيخ عدي الكاظمي

سكرتير التحرير
سمير جميل الربيعي

التدقيق اللغوي
عامر عزيز الأنباري

محرر الأخبار
حسين علي السعدي

التصميم والإخراج الفني
زيد عبد الأمير موسى رزيج

فتية الجنوب جند الله..

﴿وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾

لم تبرح الأيام إلّا وتجود لنا من هذه الطائفة بنماذج مختارة، أيدها الله بنصره وأمدها بمعونته، وحماها من التهافت بتسديده، وأرسى أوتادها وأوعر حصنها، مستمدة منعتها من هداها فزادها الله هدى إلى هداها وآتاها تقواها، فتية عاهدوا الله على الذود عن حياض المسلمين، فصدقوا فيما عاهدوا الله عليه، وصدقوا في انجاز وتحقيق ما أوقع الله في قلوبهم من مقارعة الظلم ومناهضة العدوان، من أجل ذلك وطنوا أنفسهم على الصبر وتحمل تبعات هذا العهد، ولم يبدلوا ولم ينكصوا ولم يركنوا إلى سلم من لا سلم له، ولا إلى عهد من لا عهد له، ولم يخافوا سطوة من عتى وتجبر وأهلك الحرث والنسل واستكبر، بل أعدوا له ما يقوض عليه بنيانه ويلفظ به غصته.

إنّهم فتية الجنوب الذين جندوا أنفسهم بما يمتلكون من طاقات إيمانية للدفاع عن مقدسات الدين والعقيدة وبلاد المسلمين، فئة ترهبنت للجهاد في سبيل الله فانقطعت في المفازات والجبال والوديان مرابطةً للثغور، تاركةً وراءها الأهل والأولاد والخلان، لأنّها رأت فيه وقاية للدين وصيانة للكرامة وحفظاً للمقدسات، سيما وأنهم يعلمون من عدوهم المتربص بهم متى ما انقادت له الجامحة منهم، وتراخوا في تأهبهم واستعدادهم استفحل سلطانه ودلف بجنوده نحوهم، وحينها لا يرحم منهم صغيراً لصغره ولا كبيراً لكبره.

فتية أولوا شدة وعدة، وقوة معنوية لا تعرف الوهن ولا يخامرها التراخي والخذلان، اعتادوا مقارعة عدوهم ومنازلته في كل أوان بلا هوادة، رغم قلة الدعم من دولٍ كانت الأولى بالتزام الدفاع عن المقدسات والتصدي للكيان الغاصب واسترداد الأراضي المغتصبة، لكنها آثرت السلامة وعطلت الجهاد في سبيل الله اتكالاً على غيرها، ممن للغيرة والنخوة صدىً يتردد في رؤوسهم، أولئك الذين اكتسبوا قوتهم وخبرتهم ومراسهم من طول ومرير تجاربهم وتصديهم للكيان، وإنّ الواحد منهم ليأنس بحرب عدوه استئناس الطفل بلعبة العيد، ومهما تعرضوا للضربات ومهما تكالبت عليهم وتآزرت قوى الشر ضدهم، تريد قتلهم أو نفيهم من الأرض، فإنّهم أبقى كياناً وأثبت وجوداً وأرسخ في الأرض قدماً، وإن قتل لهم قائد بزغ لهم قائد، وإن رحل عنهم نصر الله، فإنّ نصر الله حليفهم لا يغادرهم، ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾[1]، ولا يحسب من يحسب أن بقتل واستهداف الأمين العام لحزب الله هو نهاية المطاف، وأن المقاومة سوف تنتهي، كلا إنّ بقية السيف هم الباقون وهم المنتصرون، وإنّ الآخرين إلى زوال واضمحلال، وهذه الحقيقة يعلمها الصابرون من المجاهدين ﴿إِلَّا الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾[2].

---

(١) سورة الروم، الآية ٤٧.
(٢) سورة الشعراء، الآية ٢٢٧.

سكرتير التحرير

في أجواء إيمانية مباركة الصحن الكاظمي الشريف

يشهد إقامة المحفل القرآني الدولي

من بقعة الطهر المُفعمة بالقداسة والإيمان، وفي رحاب الإمامين موسى بن جعفر الكاظم ومحمد بن علي الجواد عليهما السلام، وبرعاية مباركة من قبل الأمين العام للعتبة الكاظمية المقدسة، خادم الإمامين الكاظمين الجوادين الدكتور حيدر حسن الشمّري، أقيم في رحاب الصحن الكاظمي الشريف في رواق سيدنا عبد الله بن عبد الطلب عليه السلام المحفل القرآني الدولي، بمشاركة عدد من قرّاء مسابقة العراق الدولية لحفظ وتلاوة القرآن الكريم الأولى ومجموعة من محكميها، وبحضور كوكبة من الأساتذة والمهتمين بالشأن القرآني، وجمع من زائري الإمامين الجوادين عليهما السلام.

واستهل افتتاح المحفل بتلاوة لقارئ مآذن الصحن الشريف الشيخ منير عاشور، بعدها كلمة العتبة الكاظمية المقدسة وألقاها أمينها العام الدكتور حيدر حسن الشمّري، ومما جاء فيها قائلاً: (نحييكم بأعظم التحايا في هذا اليوم القرآني المبارك، ونحيي ضيوفنا الأعزاء مِنْ حَفَظَة وقرّاء ومحكمين والذين شرّفونا بحضورهم في بلدهم العراق، مهد الإقراء والقراءات، عراق أئمة القراءات كعاصم وحمزة والكسائيّ الكوفيّيْن، وأبي عمرو البصري وغيرهم، فاليوم تجتمع هذه الثلة الطيبة من أهل القرآن ببغداد، ليشع نور القرآن في بلادنا، وتتنور القلوب بحسن تلاوتهم وجودة حفظهم، ويتنافسوا نحو المعالي في رحابه، كما قال تعالى: ﴿وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾، فلا يخفى على أحدٍ أنَّ الأداء الصوتي للقرآن الكريم له تأثير على النفس الانسانية؛ فهو يحاكي ملكاتها المتعددة، الفكرية أو الوجدانية وغيرهما، لذا فإنَّ تحسين تلاوة القرآن الكريم أمر مهم، وهذا ينطلق من ثقافة القارئ وبراعته ليؤثر في نفوس المستمعين بالتدبر والتأمل فيه، فالقرآن الكريم إعجازه وجماله متعدد الجوانب يجعله يؤثر في القلوب والعقول، قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾، ففي هذه الآية المباركة دلالة على مدى تأثير القرآن الكريم في النفس الإنسانية.

وأضاف: لقد كان العراق وما زال بفضل الله تعالى مناراً للعلم والعلماء الذين اهتموا بعلوم القرآن الكريم، فبرزَ على مدى عصور خَلَتْ جملة من مفسرين ذاع صيتهم في العالم الإسلامي، ومؤلفين في علومه المختلفة تتوارثها الأجيال جيلاً عن جيل؛ لتتعرف على عظمة القرآن وأسراره، فيجب على الأمة أن تبقى علاقتها وثيقة بكتاب الله تعالى،

وهذا ما أكدته الآيات المباركة والروايات الشريفة، وما تؤكد عليه توصيات سماحة المرجع الديني الأعلى آية الله العظمى السيد علي الحسيني السيستاني دام ظله في مناسبات مختلفة، وبذلك تأكيد على مدى التمسك بمنهج الثقلين (القرآن والعترة).

ولا يسعنا في هذا اللقاء إلّا أن نبارك لكم أيها الأحبة إقامة هذه المسابقة القرآنية الدولية التي تقيمها جمهورية العراق ليلتحق بلدنا بغيره من البلدان التي تنظم مثل هذه المسابقات).

تلاها مشاركة نُخبة من القرّاء الدوليين كلّ من: القارئ الشيخ قاسم رضيعي من الجمهورية الإيرانية الإسلامية، والمقرئ الأستاذ الدكتور أحمد نعينع من جمهورية مصر العربية، بباقة من التلاوات القرآنية المباركة عطرت أجواء الصحن الكاظمي الشريف، والتزوّد ببركات الذكر الحكيم، ونيل الثواب والأجر العظيم في بيت من بيوت الله، وباب من أبواب قضاء الحوائج، كما تخلل المحفل مشاركة لفرقة إنشاد الجوادين بقصيدة عنوانها: (قرآننا منهج الرشاد).

في السياق ذاته، استقبل الأمين العام للعتبة الكاظمية المقدسة عدداً من قرّاء مسابقة العراق الدولية لحفظ وتلاوة القرآن الكريم الأولى ومحكميها، ورحب بالضيوف الكرام الذين استضافتهم العتبة المقدسة وشاركوا في محفلها القرآني المبارك وحلّوا في الرحاب الطاهرة للإمامين الكاظمين الجوادين عليهما السلام، وبارك لهم مشاركتهم التي تندرج في سياق الجهود المباركة لنشر الثقافة القرآنية والتدبر والتفكر بكتاب الله العزيز، وفي ختام اللقاء حظي الضيوف الكرام بتكريم الأمانة العامة للعتبة الكاظمية المقدسة وتقديرها لهذه المشاركة الفاعلة.

وتجدر الإشارة أنّ الأمانة العامة للعتبة الكاظمية المقدسة تواصل جهودها المباركة في مواصلة مشروعها القرآني، وسعيها الحثيث إلى نشر التربية والثقافة القرآنية وتنمية الوعي الديني بين الأوساط الاجتماعية، واستضافتها لشخصيات قرآنية بارزة، وبرامج مستقبلية متنوعة من المؤمل أن تكون هي الأوسع والأشمل في الساحة القرآنية، فضلاً عن دعم برامج مركز القرآن الكريم التابع للعتبة الكاظمية المقدسة وعلى المستويات كافة.

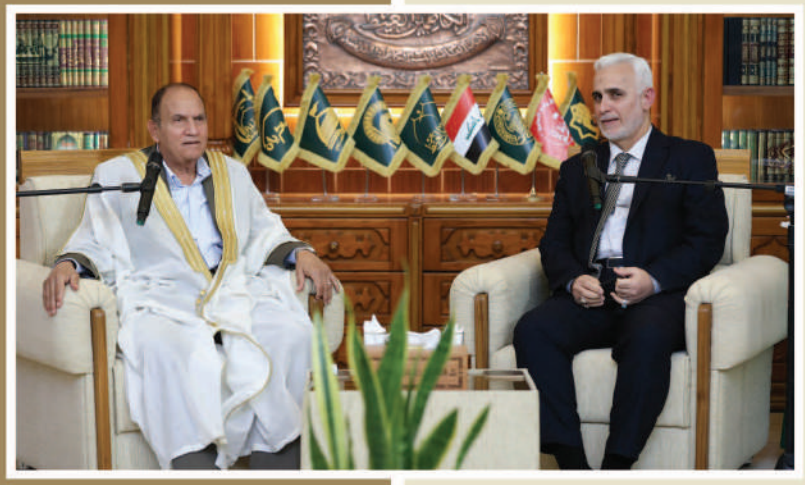

ضمن مهرجان ربيع الولادة السادس

إقامة فعاليات يوم القـــــــــ

برعاية كريمة من قبل خادم الإمامين الكاظمين الجوادين عليهما السلام الدكتور حيدر حسن الشمّري، وتيمناً بذكرى إشراقة النورَين العظيمَين، النبي الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله، وحفيده الإمام السادس جعفر بن محمد الصادق عليه السلام، انطلقت في رحاب الصحن الكاظمي الشريف فعاليات يوم القرآن المحمدي الذي استهلت به فعاليات مهرجان ربيع الولادة السادس، تحت شعار: (على صراط أحمد).

ـــــــرآن المحمدي

استهل حفل الافتتاح الذي تضمن تكريم (٤٣٥) طالب وطالبة من المشاركين في مسابقة حفظ زيارة عاشوراء المباركة التي أقامها مركز القرآن الكريم في العتبة المقدسة، بتلاوة مباركة من الذكر الحكيم، تلاها القاء كلمة الأمانة العامة للعتبة الكاظمية المقدسة، وألقاها فضيلة الشيخ عماد الكاظمي هنّأ في مطلعها الحضور الأكارم بمناسبة الولادة المباركة لفخر الكائنات النبي الأكرم محمد ﷺ، وحفيده الإمام جعفر الصادق عليه السلام، ليبدأ حديثه بقوله تعالى: ﴿قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾، ويبين قائلاً: إنّ هذا اللقاء المبارك مع أبنائنا وهم يحفظون زيارة عاشوراء المباركة لنتقرب بهم إلى نصرة سيد الشهداء الإمام الحسين عليه السلام، وننطلق من هذه الرحاب القدسية لإقامة مهرجان ربيع الولادة السادس تحت شعار: (على صراط أحمد).

كما تطرق إلى جملة من آثار ومضامين حفظ الزيارات والأدعية الواردة عن أهل بيت النبوة عليهم السلام، مؤكداً أنّ الغاية منها هو ليس حفظ الكلمات، بل الأساس هو إقامة علاقة مع الثقلين، وترجمة كتاب الله «عز وجل»، والتأكيد على أنّ هذه العملية التربوية التي يتذكر فيها الإنسان من اصطفاهم الله سبحانه وفضلهم على جميع البشر، موضحاً إنها رحلة تربوية إيجابية للنفس، لتحدّ من طموحها الدنيوي وطول أملها بل هي وعظ للنفس وتطهير لها من الطمع والجشع وطول الأمل، وحبّ الدنيا الذي هو رأس كل خطيئة، والحثّ على مسيرة الحفظ لتلك المصاديق الإيمانية.

واختتم فضيلة الشيخ الكاظمي حديثه بتوجيه الدعوة إلى الأسر الكريمة التي فكرت بأبنائها وبناتها أكثر من أي وقت مضى إلى التمسك بمبادئ الوعي والثقافة الإسلامية، حيث تقع على عاتقهم مسؤولية كبيرة وهم يضعون أولادهم في أول خطوات الصراط المستقيم، مؤكداً على الأسرة أن تمارس دورها الحقيقي في وقاية أبنائها وتحصين المجتمع من خلال الحفاظ على القيم الأصيلة، فضلاً عن محاربة كل أشكال الانحراف الأخلاقي والعقائدي.

وشهد الحفل مشاركة المتسابق الحافظ (أحمد علي جعفر)، والمتسابقة الحافظة (رقية ليث توفيق) بقراءة مقطع من زيارة عاشوراء، أعقبها مشاركة إنشادية للخادم علي ماهر، واختتم الحفل بتوزيع الشهادات التقديرية والهدايا على اللجنة التحكيمية والطلبة المتسابقين.

إقامة حفل لتكريم المشاركين في مسابقة حفظ سيرة الإمام الجواد عليه السلام

أقيم في رحاب الصحن الكاظمي الشريف حفل تكريم الأمانة العامة للعتبة الكاظمية المقدسة للفائزين والمشاركين من البنين والبنات في مسابقة حفظ سيرة باب المراد إمامنا محمد بن علي الجواد عليه السلام المباركة التي أقامها مركز القرآن الكريم بالعتبة المقدسة في رواق سيدنا عبد الله بن عبد المطلب عليه السلام.

استهل الحفل بتلاوة مباركة من الذكر الحكيم، شنّف بها أسماع الحاضرين القارئ حسين مع الله، بعدها كلمة الأمانة العامة للعتبة الكاظمية المقدسة، وألقاها فضيلة الشيخ عماد الكاظمي، استهلها بحديث نبينا الأكرم محمد ﷺ: (إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي أبداً)، واستعرض خلالها أهمية التمسك بالثقلين، وآثار معرفة سيرة أهل بيت النبوة عليهم السلام، الذين أوجب الله علينا طاعتهم وجعلها أصل من أصولاً الدين، ليتذكر فيها الإنسان من اصطفاهم الله سبحانه وفضلهم على الخلق أجمعين.

كما أوضح : بأن معرفة أهل البيت عليهم السلام هي رحلة تربوية إيجابية للنفس، لتحد من طموحها الدنيوي، وكذلك وعظ وتطهير لها من الطمع والجشع وطول الأمل، وحبّ الدنيا.

وبَين الشيخ الكاظمي: هناك مسؤولية كبيرة على الأبوين في الحفاظ على أبنائهم، وأنَّ حثهم على حفظ سيرة الأئمة الأطهار «صلوات الله عليهم أجمعين» والسير على نهجهم القويم هي من مصاديق الإيمان في الوقت الذي يتعرض فيه شبابنا وأبناؤنا إلى الهجمات المتعددة من قبل أعداء الدين والإسلام بشكل ممنهج على المستوى المعرفي والإعلامي والمجتمعي.

مؤكداً على ضرورة التأسي بسيرة شباب الأئمة عليهم السلام ذلك الأسوة والقدوة، والتعرّف على دوره في خدمة الدين والمجتمع، وتحصين شبابنا وهم يعيشون في خضم الجهاد ضد الظالمين، ومواجهتهم لما ارتكبوه من أفعال وحشية تطال شعبنا في فلسطين ولبنان، فحريٌ بنا أن نربي جيلاً عقائدياً، وليس فوضوياً كما يريده الأعداء.

وأضاف فضيلته: أن ثمرة جهود هذه المسابقة المباركة التي قدمتها الأمانة العامة للعتبة الكاظمية المقدسة من خلال مركز القرآن الكريم، بمشاركة (٣٣٠) متسابق هو فخر لنا عند الله تعالى، ونبينا الأعظم والأئمة الأطهار عليهم السلام وتجسيداً لقولهم: (اللهم إنا نرغب إليك في دولة كريمة تعزّ بها الإسلام وأهله وتذلّ بها النفاق وأهله وتجعلنا فيها من الدعاة إلى طاعتك والقادة إلى سبيلك وترزقنا بها كرامة الدنيا والآخرة)، ومن هذه الرحاب القدسية نحيّي ما تقوم به الأمانة العامة للعتبة الكاظمية المقدسة، التي تؤكد على الحفاظ على فطرة أبنائنا، وإلّا سنكون من المشاركين في إطفاء نور أبنائنا، والالتزام بالقيم الإسلامية والإنسانية السامية، ونسأله تعالى أن يقرّ أعيننا بمحمد وآله الطيبين الطاهرين عليهم السلام.

بعدها، شهد حفل التكريم مشاركة الخادم المنشد علي ماهر بمجموعة من القصائد التي ترنّمت بحق الإمام محمد بن علي الجواد عليه السلام، واختتم الحفل بتوزيع الشهادات والهدايا على الطلبة المشاركين.

وتسعى الأمانة العامة للعتبة الكاظمية المقدسة من خلال هذه الجهود المباركة إلى تنشئة جيل لا يحيد عن المبادئ الإسلامية، تُغرِس نواته الأولى بفكر وعقيدة أهل البيت عليهم السلام.

نشاطات قرآنية متنوعة

في رحاب العتبة الكاظمية المقدسة

من ضمن النشاطات المتواصلة لمركز القرآن الكريم في العتبة الكاظمية المقدسة، وسعيه الدؤوب لنشر الثقافة القرآنية وبثها في شرائح مجتمعنا الكريم كافة، أقام المركز جُملة من النشاطات والبرامج القرآنية التعليمية وبعض الدروس الفقهية والعقائدية والأخلاقية في مختلف المجالات وبمشاركة نخبة من الأساتذة والقراء والحفظة وبحضور أعداد من الطلبة الأعزاء من كلا الجنسين وبمختلف الاعمار، والتي كانت على النحو الآتي:

أقامَ مركز القرآن الكريم في أسبوع الولادة محفلاً قرآنياً لتكريم الحفظة

إقامة حفل لتكريم طالبات الجامعات المشاركات في دورة حفظ وتفسير سورة البقرة

إقامة محفل قرآني بالتعاون مع العتبة الحسينية المقدسة

الاختبارات الدورية لمشروع حفظ القرآن الكريم خلال أربع سنوات

زيارة المجمع العلمي في العتبة العباسية المقدسة لمركز القرآن الكريم

مشاركة وفد مركز القرآن الكريم في المحفل القرآني المركزي للعتبة العلوية المقدسة

الختمة التعليمية اليومية في العتبة الكاظمية المقدسة

تواصل حملة تصحيح قراءة سورة الفاتحة للزائرين الكرام

جانب من اختبار زيارة عاشوراء (للبنات)

حفل تخرج الدورة الصيفية الثالثة عشر (للبنين)

حفل تكريم الحافظات في أسبوع الولادة

درس القراءة الصحيحة لخدم الإمامين الجوادين عليهما السلام بإشراف القارئ قاسم الزاملي

دورة أحكام التلاوة والتجويد (للنساء) بإشراف معلمة الدورة (إسراء حسين فرج)

دورة أحكام التلاوة والتجويد(للنساء) بإشراف معلم الدورة (رافع العامري)

دورة الأنغام والأداء التطويري بالطريقة العراقية بإشراف معلم الدورة محمد الربيعاوي

دورة الحفظ الحضوري بإشراف معلمة الدورة غفران ليث

دورة الحفظ الحضورية
بإشراف
الحافظة (بتول جبار)

دورة الحفظ الحضورية
بإشراف
الحافظ مكي السعدي

دورة الحفظ الحضورية
بإشراف معلم الدورة
(لؤي حاتم الطائي)

دورة العقائد وتفسير
القرآن الكريم (للرجال)
بإشراف فضيلة
الشيخ عدي الكاظمي

دورة القراءة
التحقيقية(للرجال)
بإشراف معلم الدورة
(حيدر سعد الكاظمي)

دورة القراءة
التطويرية(للنساء)
بإشراف معلمة الدورة
(سوسن محمد)

دورة القراءة
الصحيحة(للنساء)
بإشراف معلمة الدورة
(جميلة دحام)

دورة تطوير الأداء
الصوتي بإشراف
المنشد مصطفى الكناني

دورة تفسير القرآن الكريم
بإشراف معلم الدورة
(دنيا جميل محمد)

دورة حفظ وتفسير سورة
البقرة المباركة لطالبات
المعاهد والجامعات
بإشراف معلمة الدورة
(دنيا جميل)

﴿اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾

مرتضى صباح العميدي

عندما نتحدث عن الرزق يكون تفكير الناس بالمال وكأن الرزق محصور في هذا اللفظ الوحيد، فلا يلتفتون إلى الصحة أو العلم والأولاد والجاه والزوج الصالح أو الزوجة أو ربما النظر إلى القدرات العقلية والذكاء والنجاح أو السمعة الطيبة وغيرها من النعم التي لا يحصى عددها كون إنّها من الرزق أيضاً. والسبب في ذلك يعود لتأثير المال القوي في الحياة وجاذبيته فينا، قال تعالى: ﴿وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾[1]، فالناس اليوم يتقاتلون من أجل المال حتى أصبح البعض منهم يعبدونه من دون الله.

فهل الرزق يأتي بالاكتساب فقط أو له أسباب أخرى؟ وهل يبسط للبعض ويقبض عن الآخر هكذا من غير حكمة ومصلحة؟ ولعل سائل يسأل إذا كان الله عز وجل هو الغني وله القدرة على إغناء الناس فلماذا لا يفعل ذلك وهو الذي لا تنفد خزائنه؟ أسئلة كثيرة تدور في أذهان الناس منذ مئات السنين ولا تزال مبهمة.

تحدثت الآيات بهذا الموضوع وبكثرة منها ما تجعل الله الرازق الوحيد في قوله تعالى: ﴿أَمَّنْ هَٰذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ بَل لَّجُّوا فِي عُتُوٍّ وَنُفُورٍ﴾[2]،ومنها ما يجعله تعالى متصرفاً في الرزق بسطاً وقبضاً ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا﴾[3]، ومنها ما يذكر بأنه جعل التفاوت في الأرزاق بين الناس وفق ما تقتضيه حكمته في ابتلاء الناس فيما آتاهم ﴿وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ...﴾[4]، وآيات أخرى يذكر فيها أنه يرزق المؤمن والكافر جاء في قوله عز وجل ﴿وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُم بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا﴾[5]، والكثير من الآيات الأُخر التي تقسم الرزق من خلال هذه الآيات يمكن ان نبين أمور عدة:

* إنّ الرزق يستند إلى أمرين، السعي وإرادة الله معاً، فمن ترك السعي عاش متكلاً على الناس، ومن اعتمد رزقه على الله إن شاء الله يزيده الله من فضله، فعلى الإنسان أن يسعى لرزقه مجتهداً دون تكاسل، قال تعالى: ﴿...فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ...﴾[6]، وأن يسأل الله من فضله ويلح في طلب الرزق وبسطه ﴿وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾[7]، مع مراعاة أدب الدعاء ﴿وَأَدْعُو رَبِّي عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا﴾[8]، ومراعاة مقدمات استجابة الدعاء كالتصدق وصلة الرحم.

* أما الأمر الآخر وهو أن المال الوفير لا يعني بالضرورة إنّه ازداد من الله قرباً، ففرعون وقارون وأمثالهما كانوا في قمة الغنى المادي إلّا أنهم كانوا بعيدين كلّ البعد عن الله عز وجل ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا...﴾[9]، فعلى الناس أن تعلم بأن الغنى والفقر ما هما الا ابتلاء من الله عز وجل ﴿فَأَمَّا الْإِنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ﴾[10].

* أما فيما يتعلق بعدم بسط الرزق من قبل الله سبحانه وتعالى فهو قد يكون رحمة بهم ﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾[11]، لأنّه عليم خبير بأمورهم واحتياجاتهم لهذا يجب أن تكون بقدر يتلاءم مع صلاح أمرهم، ومن هنا وجب علينا أن نفكر جيداً ونتعرف على فلسفة الرزق بشكل أعمق كي نعيش حياة أفضل.

(١) سورة الفجر، الآية، ٢٠.
(٢) سورة الملك، الآية ٢١.
(٣) سورة الاسراء، الآية ٣٠.
(٤) سورة النحل، الآية ٧١.
(٥) سورة البقرة، الآية ١٢٦.
(٦) سورة الجمعة، الآية ١٠.
(٧) سورة النساء، الآية ٣٢.
(٨) سورة مريم، الآية ٤٨.
(٩) سورة يونس، الآية ٨٨.
(١٠) سورة الفجر، الآيتان ١٥-١٦.
(١١) سورة الشورى، الآية ٢٧.

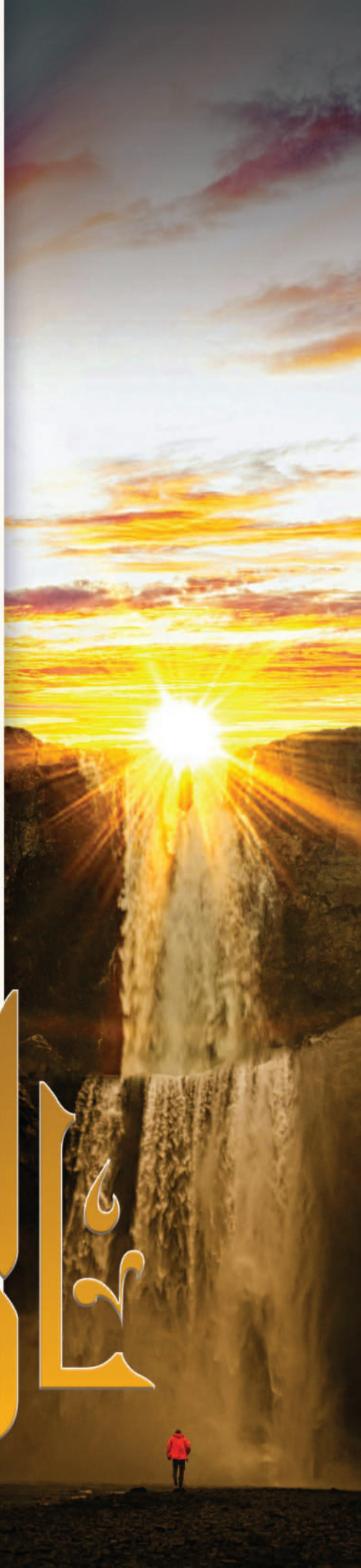

في

كرار رزاق المحنه

تجد اليوم أن أفضل المسلمين حالاً هو من له ورد يومي من القرآن، وأكثرهم تدينا من يفضل سماع القرآن بصوت قارئه المفضل، في فضلة وقته أثناء التنقل، أو حضور مجلس عزاء، أو زيارة الموتى، وكأنه كتاب للأموات وليس للأحياء، أو أنّه كتاب أُنزل لغيرنا، وهذه الغفلة في التعامل معه تفوت علينا الكثير من نعمه وفضائله.

شِفَاء وَرَحْمَة

إنّ ابتعادنا عاطفياً وعملياً عن القرآن الكريم قد أثر بشكل كبير على جوانب حياتنا المختلفة، خاصة في زمن نكون فيه بأشد الحاجة لهداه وإرشاداته. ورغم ذلك، فإننا نقضي فترات طويلة يغفل فيها معظمنا عن هذا الكنز الثمين ونلتصق بما هو غيره، فإنّ حالة المسلمين عموماً وحالتنا خصوصاً، تكشف عن جهل في زمن تيسرت فيه سبل القراءة والحفظ والفهم والتدبر، ومع ذلك لم تؤد هذه الأدوات إلّا إلى مزيد من الانفصال، بل زادت الزهد لدى البعض وأدت لغفلة الآخرين؛ بدلاً من أن تكون محفزًا لتعزيز الهمة وتحفيز الجهود نحو الاهتمام بالقرآن والانشغال به، فالكتاب الذي في متناول أيدينا هو نفسه الذي قاد الأمة وكان علاجًا لقلوبها ومنهج حياة شامل لها؛ فلم يكن القرآن الكريم مصاحف مجّمعة، ولا تطبيقات ذكية، ولا قنوات فضائية، إلّا أنها كان هناك قلوب حية، وصدور تفتحة، تعرف أين الصالح لها فتقبل عليه إقبال الجائع على الطعام وإقبال المريض على الدواء. فالقرآن شفاء ولكن للمؤمنين، أما الظالم فلا يزيده إلّا استكباراً وضلالاً، وقد كان قوم نوح عليه السلام من هذا النمط كما يحدثنا نوح عليه السلام عنهم قائلًا (فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَاراً) [1] رغم أنه قد دعاهم إلى الله تعالى ليلًا ونهاراً.

أهملنا القرآن فأهملتنا بركته وحظوظه التي لا يعرفها إلّا أهله، الذين جعلوه وما به من البيّنات والهدى همهم، فكفاهم الله ما أهمهم من أمر دنياهم وآخرتهم! فهو مُبارك في ذاته، مبَارك لحياة وأحوال العالمين به والمتعلمين له والعاملين به! وهو المنهج القويم لعبور الصراط المستقيم والهدي المبين، الذي لم يغفل عن شأن ديني أو دنيوي إلّا وأظهره، وبينه وأحكم حكمه، وبين لنا في آياته خطى التعامل معه ليكون شفاء لما في صدورنا ويكون علاجاً لمشكلاتنا: قال تعالى: ﴿فاقرأوا ما تيسّر من القرآن﴾ [2].

الظاهر أنّ معنى ما تيسر مقدار ما أردتم وأحببتم [3]. ليس هناك تحديد بعدد الآيات التي يُستحسن قراءها، فالمجال متروك لنا في قراءة القدر المستطاع منه. فالمهم ليس كثرة القراءة وإنّما نوع القراءة، وهذا ينسجم مع التدبّر والتفكّر في القرآن.

قال تعالى: ﴿ورتّل القرآن ترتيلا﴾ [4]

ترتيل القرآن تلاوته بتبيين حروفه على توالبها [5]، قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام: (بَيِّنْهُ تِبْيَاناً وَلاَ تَهُذَّهُ هَذَّ الشِّعْرِ، وَلاَ تَنْثُرْهُ نَثْرَ الرَّمْلِ، وَلَكِنْ أَفْزِعُوا قُلُوبَكُمُ الْقَاسِيَةَ، وَلاَ يَكُنْ هَمُّ أَحَدِكُمْ آخِرَ السُّورَةِ) [6]، وتحسين الصوت بقراءة القرآن ليبلغ أثره في النفوس. والترتيل له إيقاع أجمل من التلاوة، ولذلك قال النبيّ صلى الله عليه وآله: (لكلّ شيء حلية وحلية القرآن الصوت الحسن) [7].

قال تعالى ﴿فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرّجيم﴾ [8].

لا يقصد من الاستعاذة الاكتفاء بذكر بل ينبغي لها أن تكون مقدمة لتحقيق وإيجاد الحالة الروحية المطلوبة.. حالة: التوجه إلى الله عز وجل [9]، فهو خيرٌ حافظاً لنا، وخير محامٍ ودافع للشيطان عنّا، لندخل عالم القرآن الكريم بلا حجاب حاجز.

قال تعالى ﴿أفلا يتدبّرون القرآن أم على قلوب أقفالها﴾ [10].

التدبّر: من مادة دَبْر، وهو تحقيق وبحث نتائج الشيء وعواقبه. لا يتسلل نور القرآن إلّا إلى أذن وعت القرآن، وقلب تدبّره عن الإمام الصادق عليه السلام: (إنّ لك قلباً ومسامع، وإنّ الله إذا أراد أن يهدي عبداً فتح مسامع قلبه، وإذا أراد به غير ذلك ختم مسامع قلبه فلا يصلح أبداً، وهو قول الله عزّ وجلّ: (أم على قلوب أقفالها) [11]. القلوب المقفلة هي أشبه بقبر تسكنه الوحشة. والقلب الذي لا يدخله نور القرآن ولا تحرّكه نسائمه، قلب فسد الهواء في داخله وغمرته العتمة حتّى عاد كالمكان المهجور.

> **ان القرآن الكريم كنز إن لزمته أعطاك من أسراره ومعانيه ومفاتيحه وبركته**

قال تعالى: ﴿ولقد يسّرنا القرآن للذّكر فهل من مدّكر﴾ [12]

التيسير للشئ هو تسهيله بما ليس فيه كثير مشقة على النفس، وتسهيل القرآن للذكر هو خفة ذلك على النفس، بحسن البيان، وظهور البرهان في الحكم السنية، والمعاني الصحيحة الموثوق بها، لمجيئها من قبل الله تعالى. وإنما صار الذكر من أجل ما يدعى إليه، ويحث عليه، لأنه طريق العلم، لأن الساهي عن الشئ، أو عن دليله، لا يجوز أن يعلمه في حال سهوه، فإذا تذكر الدلائل عليه، والطرق المؤدية إليه، تعرض لعلمه من الوجه الذي ينبغي له. (فهل من مذكر) أي متعظ معتبر به ناظر فيه. [13]

قال تعالى: ﴿فإذا قُرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون﴾ [14].

الإنصات السكوت مع استماع [15]. مستمع القرآن قد يتلقّى القرآن في لحظات الصفاء والإصغاء بغير ما يتلقّاه وهو ساهٍ. فربّ آيات قرأناها مراراً لكنّها لم تترك في نفوسنا الأثر المطلوب، كما يتركه ترتيل شجيّ حزين، يجسّد الآيات تجسيداً.

إن القرآن الكريم كنز إن لزمته أعطاك من أسراره ومعانيه ومفاتيحه وبركته، وإن هجرته فما هجرت إلا نفسك، وما قصرت إلا في صلاح أمرك وأسباب سعادتك، فلا يستقيم لك منطق ولا يعتدل لك فكر ولا يتضح لك منهج ولا يسدد لك سلوك! فما أعرض عنه ذو قلب حي سليم ومعافى، فحريٌ بنا أن يرجع كل منا إلى قلبه فيتفقده أمقفول هو أم منشرح، ويهرع إلى استصلاحه وإحيائه بما لا تحيا بغيره الأفئدة.

---

(١) سورة نوح، الآية ٦.
(٢)سورة المزمل، الآية ٢٠.
(٣) زبدة البيان في أحكام القرآن، المحقق الأردبيلي، ص٩٦
(٤) سورة المزمل، الآية ٤.
(٥) تفسير الميزان، السيد الطباطائي، ج ٢٠، ص٦٦
(٦) البرهان في تفسير القرآن، السيد هاشم البحراني، ج ٥، ص٥١٧
(٧) الكافي (دار الحديث)، الشيخ الكليني، ج ٤، ص٦٣٣
(٨) سورة النحل، ٩٨.
(٩) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، ج ٨، ص ٣٢٣
(١٠) سورة محمد، الآية ٢٤.
(١١) البرهان في تفسير القرآن، السيد هاشم البحراني، ج٥، ص٦٧
(١٢) سورة القمر، الآية ١٧.
(١٣) تفسير مجمع البيان - الشيخ الطبرسي، ج ٩، ص٣١٦
(١٤) سورة الأعراف، الآية ٢٠٤.
(١٥) تفسير الميزان، السيد الطباطبائي، ج ٨، ص ٣٨٢.

التكريم والتفضيل

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾.

الشيخ جاسم محمد الجشعمي

تتناول هذه الآية الكريمة ثلاثة سنن إلهية، جرى تسليط الضوء في العدد السابقة على اثنين منها، هما (سنة تكوين الخلق على نمط الشعوب والقبائل، وسنة التعارف)، وفي هذه الوقفة نسلط الضوء على السُنّة الثالثة وهي سُنّة التكريم والتفضيل.

في نهاية الآية المذكورة يؤكد الله تعالى على سُنة التكريم والتفضيل بين الناس، وقال إنّ خلقه للإنسان على اختلاف في الألسن واللغات والقوميات لا لأجل التفاضل والفخر، وإنما لأجل التعارف. فالناس متساوون بينهم لا فضل لأحد على الآخر.

حيث يتوقف التعاون والتعاضد وتبادل المنافع بين أبناء البشر على التعارف، فالتعارف هو الهدف من خلق الله للإنسان على نمط الشعوب والقبائل. وليس الهدف من ذلك التفاخر بين الأنساب كما كانت الجاهلية العربية تفعل ذلك. حتى زاروا المقابر ليعدوا الأموات مع الأحياء للتفاخر بهم. وقد ذم القرآن الكريم هذه الظاهرة حيث قال تعالى ﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ * حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾[1].

ولم يخلق الإنسان لأجل تفاضل العرب على العجم والأبيض على الأسود ولا استعباد أحدهم للآخر. وإنّما الأكرم والأفضل بين أفراد البشر من وجهة نظر القرآن الكريم هو الشخص الحائز على أعلى درجات التقوى.

إن الإنسان بطبيعته النفسية مندفع نحو الحصول على مكانة اجتماعية أو مادية أو معنوية تميزه عن الآخرين لتعلقه بالدنيا والسعادة الزائلة. وكذلك تعلقه بالمال الزائل والجمال الزائل وكل مظهر دنيوي زائل. ولذلك يبذل كل طاقته للوصول إلى ذلك. والاندفاع الإنساني نحو المظاهر الدنيوية التي أشبه بمظاهر وهمية، وهو عمل متعب وليس سهلاً. وقد يوقعه في مهالك الدنيا وفخاخ الشياطين. والله يقطع رحمته عنه ويستدرجه إلى مرابط المهالك فيخسر الدنيا والآخرة. ولذلك ينبه اللهُ الإنسانَ إلى خطورة الاندفاع نحو مظاهر الوهم الدنيوي، ويوضح له أنّ امتلاك مظاهر الدنيا ليس سعادة حقيقية ولا شرفاً وتكريماً حقيقياً. إنّما الشرف والتكريم الحقيقي هو التقوى. وأنّ الله يريد للإنسان سعادة الآخرة، والإنسان يريد سعادة الدنيا القصيرة الزائلة. وإن حصل الإنسانُ على سعادةٍ دنيويةٍ قصيرةٍ زائلةٍ فهي مشحونة بالابتلاءات والأحزان والآلام. حيث قال تعالى: ﴿تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ﴾[2].

ثم إنّ طرق الحصول على التقوى سهلة غير مكلفة على عكس طرق الحصول على الدنيا الزائلة فهي صعبة ومكلفة ومتعبة.

(١) سورة التكاثر، الآيتان (١-٢).

(٢) سورة انفال، الآية ٦٧.

الأكرم والأفضل بين أفراد البشر من وجهة نظر القرآن الكريم هو الشخص الحائز على أعلى درجات التقوى.

وهنالك للسيد الطباطبائي أعلى الله مقامه الشريف التفاتةٌ لطيفة حول هذه الآية الكريمةُ في تفسيره الميزان، حيث يقول: (إنّ ذكر الله في القرآن في بداية الآية أنّ الانسان خلق من ذكر وأنثى، تأكيد منه على أنّ أفراد البشر جميعهم من أب واحد وهو آدم وأم واحدة وهي حواء، فجميعهم من أبوين، وبهذا التأكيد ألغى الله جميع مظاهر التفاضل بينهم بالنسب واللون والعرق واللغة أو القومية، فلا فضل لعربي على أعجمي ولا أبيض على أسود ولا المولى على العبد ولا الرجل على المرأة..)[٣]

من هنا، فإن اختلاف الألسن غير موجبة للتفاضل بينهم، والقرآن الكريم له معايير موضوعية للتفاضل بين أبناء آدم كالتقوى، حيث قال تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾، وكذا الحال في مراتب العلم حيث قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾[٤]، وخدمة العباد، كما في قوله تبارك تعالى: ﴿وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا﴾[٥]، أي تسخير أحدهم للآخر للاستفادة، وغيرها من الأمور الأخرى التي لها قيمة معنوية وأخلاقية موجبة للتفاضل عند الله تعالى، كالأخلاق الفاضلة والخصال الحميدة.

شهادة الأنبياء

وهي من السنن العظيمة التي سنها المولى تبارك وتعالى في خلقه، وأرادها أن تمضي في عباده، قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾[٦].

ومعنى الشهيد في الآية القرآنية الكريمة هو الرقيب على سلوك الناس والمتابع لأمورهم والراعي لشؤونهم والحاكم فيما اختلفوا فيه، والمعلم لأحكام الله والآمر بالمعروف والناهي عن المنكر، وهو المُذكّر لهم بالله والآخرة والمبشر لهم بنعيم الله تعالى، والمنذر لهم عن عذاب الله والشاهد على ما يفعلون.

لقد كان الناس أمة واحدة، ولّما دخل الاختلاف في عقائدهم ومواقفهم من مختلف شؤون حياتهم وأفسدوا سلامة فطرته؛ أرسل الله إليهم الأنبياء يبشرونهم بما أعدّ اللهُ للمطعين له والصالحين منهم من النعيم في الآخرة. وينذرونهم بوعيد الله للعاصين والفاسدين من أنواع العذاب والعقوبة الأخروية، وإلى هذه الحقيقة الإلهية أشار القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ﴾[٧]، وهؤلاء النبيون شهداءٌ على الناس، ومرحلةِ شهادة الأنبياء على الناس في مسيرة البشرية بدأت عند بعثهم ، كما بينتها الآيات القرآنية الكريمة، أما مهام الشهادة للأنبياء فقد حددها القرآن في الأمور الآتية:

التبشير والتنذير وتذكير الناس بالله تعالى وبالآخرة، قال تعالى: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ﴾[٨].

تزكية الناس وتعليمهم، قال تعالى: ﴿وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾[٩].

الحكم فيما اختلف الناس فيه، قال تعالى: ﴿لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾[١٠].

الرقابة على سلوك الناس، وحمايتهم من البدع، قال تعالى: ﴿وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِم﴾[١١].

ورقابة الأنبياء التي هي جزء من مهام شهادتهم على سلوك الناس ومسارهم الاجتماعي والاقتصادي والعقائدي وحتى السياسي مصداق من مصادق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

إنّ شهادة الأنبياء التي هي تبشيرٌ وتنذيرٌ وتعليمٌ وحكمٌ ورقابةٌ أمرٌ بالمعروف ونهيٌ عن المنكر تكمّل دور الميثاق الذي أشرنا إليه في الوقفات السابقة، والميثاق هو إقرار الإنسان بالله وبوحدانيته، وارتباط الإنسان بالله تعالى عن طريق الفطرة الإنسانية السليمة، وشهادة الأنبياء هي قيادةٌ للإنسان وإدارةٌ لشؤونه طبقاً لتعاليم الله وتشريعاته. وقد تجلى دور الشهادة النبوية للأنبياء والرسل ﷺ قبل نبوة النبي نوح ﷺ، واستمر إلى مرحلة نبوة خاتم الأنبياء والرسل النبي الأكرم محمد ﷺ.

أما في مرحلة نبوة النبي إبراهيم ﷺ، فقد استجدت مهمة أخرى في مهام النبوة الإلهية وهي الإمامة، وبعدها استجدت مرحلة وراثة الأنبياء والنبي محمد ﷺ هو وارث الأنبياء ﷺ. والأئمة ﷺ هم أئمة هدىً وورثة خطّ ومهام الأنبياء ﷺ. والبشرية تنتظر خاتم الأئمة ﷺ وخاتم الوارثين لخط الأنبياء، وهو الإمام الثاني عشر من أئمة أهل البيت ﷺ القائم المهدي المنتظر ﷺ، ننتظره ليملأ الارض قسطاً وعدلاً بعدما ملئت ظلماً وجوراً. يملؤها بجنوده الميامين وبقاعدته المنتظرة له والممهدة لظهوره المبارك.

(٣) الميزان، العلامة الطباطبائي، ج ١٨ ص٣٢٦.
(٤) سورة الزمر، الآية ٩.
(٥) سورة الزخرف، الآية ٣٢.
(٦) سورة النحل، الآية ٨٩.
(٧) سورة البقرة، الآية ٢١٣.
(٨) سورة الغاشية، الآية ٢١.
(٩) سورة الجمعة، الآية ٢.
(١٠) سورة البقرة، الآية ٢١٣.
(١١) سورة المائدة، الآية ١١٧.

القرآن
يفضح خداع المستكبرين

قراءة القرآن الكريم - وهو كلام الله تعالى - بتمعّن تدفع بالمؤمن نحو التعرف على عظمة هذا الكتاب السماوي، حيث يستشعر شيئاً فشيئاً عندما يقف على ضفافه الوضيئة على روعة ما فيه من عبر وأسرار واكتناز بالحكم والعظات. ومن تلكم العبر والأسرار هي محطاته التي يطل من خلالها على ساحة التحدي للمخادعين، وخصوصاً المستكبرين في كل زمان ومكان، بغية التعرف على كيفية دحرهم، وتعريتهم، وفضح دعاواهم الباطلة في خداع الناس وغوايتهم.

عامر عزيز الأنباري

الطغاة لهم مقاييسهم الدنيوية الخاصة

إنّ الخداع متجذّر في سلوك الطغاة والمتكبرين، فهم يحتاجون إلى ذلك تحقيقاً للهيمنة والاستعلاء وفرض آرائهم بوسائل الخداع كافة. فهم يجعلون من الخداع العنصر المتمّم لاستخدام القوة، بل هو أشدّ من أيّ شيءٍ آخر، فهم لا يمتلكون القوة الكافية للتحكم بمصائر الناس بغير التضليل والخداع.

الطغاة المخادعون لديهم مقاييسهم الدنيوية الخاصة. فهم لا يؤمنون بالغيب، وينظرون إلى الواقع نظرة مادية بحتة وظاهرية؛ وعلى تلك النظرة يبتنون آراءهم. ومن المؤسف أنّ هنالك من أصحاب النفوس الضعيفة؛ من يجد أنّ تحقيق مصالحه الدنيوية يدفعه باتجاه إقناع نفسه بما يمليه عليه أولئك المتجبرون، فهو يوهم نفسه أنّه على حقّ طمعاً بمنافع دنيوية، وهو ما يمنح الطغاة المكنة في تحقيق أهدافهم بحسب مقاييسهم الدنيوية هذه.

﴿خلقتني من نار وخلقته من طين﴾

حقيقة الأمر، أنّ هذه المقاييس هي مبتكرات شيطانية. فإبليس هو أول من استخدمها في تحدّيه لأمر الله تعالى بالسجود لأبينا آدم عليه السلام ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلاَئِكَةِ اسْجُدُواْ لآدَمَ فَسَجَدُواْ إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾[1]، فهو بعد أن سجد له الملائكة أجمعون لآدم عليه السلام، أبى السجود وكان من اللزوم بالطبع امتثاله لأمره تعالى، كونه بمرتبة أدنى من الملائكة، فهو من الجنّ وليس ملكاً ﴿..إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾[2] غير أنّه علا واستكبر، وبدأ يحتجّ على الله تعالى بمعايير ظاهرية بقوله ﴿قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾[3]، وبغضّ النظر عن الأفضلية بين النار والطين، فإنّ منزلة آدم تنبع من الكيفية التي يعبر عنها تبارك وتعالى في خلق آدم عليه السلام ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُ سَاجِدِينَ﴾[4]، فالله تعالى هو العالم بأيّهم الأفضل، فهو خالقهما معاً.

إبليس يستدرج عتاة قريش

كذلك يصوّر لنا القرآن الكريم إحدى خدع إبليس يوم معركة بدر. فلقد استدرج عتاة قريش لمنازلة المسلمين في بدر، ﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لاَ غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ فَلَمَّا تَرَاءتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَى عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لاَ تَرَوْنَ إِنِّيَ أَخَافُ اللّهَ وَاللّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾[5].

(١) سورة البقرة، الآية ٣٤.

(٢) سورة الكهف، الآية ٥٠.
(٣) سورة ص، الآية ٧٦.
(٤) سورة الحجر، الآية ٢٩.
(٥) سورة الأنفال، الآية ٤٨.

ورد في تفسيرها أنّ جبابرة قريش لمّا (بلغهم أنّ العير قد نجت ، فأرادوا الرجوع إلى مكة، فأتاهم إبليس في صورة سراقة بن مالك بن جشعم الكناني، من بنى مدلج بن الحارث، فقال : لا ترجعوا حتى تستأصلوهم، فإنّكم كثير وعدوكم قليل ، فتأمن عيركم ، ويسير ضعيفكم (وإني جار لكم) [٦]. على بنى كنانة، إنّكم لا تمرون بحيٍّ منهم إلّا أمدكم بالخيل والسلاح والرجال، فأطاعوه ومضوا إلى بدر، لـمّا أراد الله هلاكهم ، فلما التقوا نزلت ملائكة ببدر مدداً للمؤمنين، عليهم جبريل عليه السلام، ولما رأى إبليس ذلك، نكص على عقبيه...، فقال (أي) إبليس: (إني أخاف الله والله شديد العقاب)[٧].

النمرود وادعاؤه للربوبية

كذلك نجد في قصة النبي إبراهيم عليه السلام مع النمرود الذي ادعى الربوبية، وكيف أنّه عليه السلام في محاججته قال للنمرود: ﴿رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾ * ﴿قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ﴾[٨] ، ثمّ أحظر النمرود له اثنين من السجناء فأمر بقتل أحدهما وأطلق الآخر فجابهه النبي إبراهيم عليه السلام بحجّة أكبر من خديعته تلك ﴿قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾.

فرعون ومحاولات تشويه الرسالة

فرعون مصر، كان يخادع الناس، ويقلب لهم الحقائق مدعياً الربوبية، وجاعلاً منها عقيدة مفروضة عليهم. القرآن الكريم يقدم عرضاً للكيفية التي يحاول بها تسقيط الرسالة وحاملها النبي موسى وأخيه هارون عليهما السلام بمقاييس ظاهرية ودنيوية يخدعهم بها ﴿وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾[٩] ﴿أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ﴾[١٠]، ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ﴾[١١] فهو يظهر موسى عليه السلام – حاشاه- هو المفسد ويخشى عليهم منه!

جبابرة قريش هم أيضاً كانوا يخدعون من حولهم بتشويه صورة نبينا العظيم صلى الله عليه وآله واتهامه بالسحر والكهانة والشعر ﴿.. إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ﴾[١٢]، أو إنّه قول شاعر والقرآن نفى عن نبيه صلى الله عليه وآله هذه التهم، ﴿مَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ﴾[١٣]، فكانوا يحاولون إيهام المجتمع المكي، والله تعالى يفضح مآربهم ويدفعها بالحجج الدامغة.

فإذن رسول صلى الله عليه وآله هو الذي قتل حمزة!

الحقائق القرآنية التي تطرق لها القرآن الكريم، وما تلاها من أحداث عصيبة من هذا النوع في تاريخنا الإسلامي، ينبغي عكسها على واقعنا المعاصر لاستنباط التجارب والعبرة ومجابهة الواقع بكل وعي وقوة؛ فلنعد قليلاً إلى ماضينا الإسلامي، وتحديداً إلى حرب صفين، كان عمار بن ياسر يقاتل مع جبهة الحق المتمثلة بأمير المؤمنين عليه السلام، وعمار معروف بمرتبته الإيمانية ومدى حبّ المصطفى صلى الله عليه وآله له (روي عن الصادق عليه السلام أنه لما قتل عمار بن ياسر رحمة الله عليه ارتعدت فرائص خلق كثير، وقالوا: قد قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «عمار تقتله الفئة الباغية»؛ فدخل عمرو بن العاص على معاوية فقال: يا أمير المؤمنين قد هاج الناس واضطربوا قال: لماذا. قال: قتل عمار. قال: فماذا؟ قال أليس قال رسول صلى الله عليه وآله: تقتله الفئة الباغية؟ فقال له معاوية: دحضت في قولك أنحن قتلناه إنما قتله علي بن أبي طالب لمّا ألقاه بين رماحنا. فاتصل ذلك بعلي بن أبي طالب عليه السلام فقال: فإذن رسول صلى الله عليه وآله هو الذي قتل حمزة وألقاه بين رماح المشركين!)[١٤]. وهو مشابه تماماً ما يحصل في الصراع الدائر في المنطقة حيث يحاول الاستكبار العالمي أن يظهر الكيان الغاصب المجرم بهيئة الحمل الوديع، وأنّ حماس وحزب الله هم الإرهابيون الذي يريدون الانقضاض على اليهود وقتلهم وأنّ أكثر من ٥٠ ألف ضحية في غزة وآلاف من الجنوب اللبناني قد قتلتهم حماس وحزب الله في اعتدائهم على الكيان الغاصب! ولا غرابة في دعواهم تلك، فهذا هو ديدن الطغاة في كلّ زمان ومكان.

المحرقة التي أكلت الأخضر واليابس

نعود إلى واقعنا وتأريخ بلدنا الحديث. ففي ثمانينات القرن المنصرم كان الطاغية صدام هو أيضاً يوهم العراقيين في معركته الطاحنة مع الجارة الإسلامية إيران ولثماني سنوات مريرة أنهم يقاتلون الفرس المجوس الذين يريدون احتلال العراق والاعتداء على الحرائر العراقيات وهتك حرماتهم وأعراضهم ! وبذلك كان يسوق مئات الآلاف من الشباب الذين هم بعمر الورود، وخصوصاً من الموالين لأئمة أهل البيت عليهم السلام. وحقيقة الأمر أنّه هو من بدأ الحرب بتوجيهٍ من قوى الاستكبار العالمي، الذي تتزعمه أمريكا والعالمية الصهيونية، وبدعم من دول الخليج، وزجّ بالعراق إلى تلك المحرقة التي أكلت الأخضر واليابس باسم العروبة والدفاع عن الشرف والحفاظ على البوابة الشرقية.

الخداع ودعاوى التضليل التي يتصدى لها الطغاة. اليوم أيضاً يتحرك الإعلام الداعم لدول الاستكبار بممارسته للحرب الناعمة باتجاه إثارة العداء للجارة الإسلامية إيران والدعوة إلى العودة للحضن العربي، وخصوصاً دول الخليج التي تتزعمه السعودية، والتي كان لها الدور الأكبر في إثارة الفتنة الطائفية والمسؤولة عما ارتكبه خمسة آلاف داعشي كانوا قد دخلوا العراق لتنفيذ عملياتهم الانتحارية بعد سقوط النظام البائد[١٥].

ختاماً نقول ..

من الواجب علينا أن نجعل من هذه القراءة القرآنية لأحداث الماضي التي جعلها الله تعالى عبرة لنا وأرادها أن تكون كواشف لما يدور من حولنا من أحداث، ويحاك من مؤامرات وألاعيب وخدع؛ ينبغي أن لا تنطلي علينا مهما تنوعت الأساليب، ووظفت لها من وسائل اتصال رغم تغير الأجيال والأزمنة وتبدل العصور وتطور العلوم والتقنيات، فالصراع بين الخير والشر هو ذاته لا يتغير.

(٦) سورة الأنفال، الآية ٤٨.
(٧) تفسير مقاتل بن سليمان، ج٢، ص٢١.
(٨) سورة البقرة، الآيتان(٢٥٨-٢٥٩).
(٩) سورة الزخرف، الآية ٥١.
(١٠) نفس السورة، الآية ٥٢.
(١١) سورة غافر، الآية ٢٦.
(١٢) سورة المدثر، الآية ٢٤.
(١٣) سورة الحاقة، الآية ٤١.
(١٤) الاحتجاج، الطبرسي، ج١، ص١٨١.
(١٥) الشواهد على هذه الشاكلة مما يخص من خداع للشعوب والأمم كثيرة.

(الجزء الأول)

الكشافات القرآنية

تسلط الضوء على أسرار (معركة الجمل)

سمير جميل الربيعي

من المهم جداً تسليط الضوء من خلال الكشافات القرآنية على معركة الجمل والاحداث التي واكبتها والآثار التي ترتبت عليها لاحقاً، باعتبارها من المعارك التي زاد الكلام واللغط فيها؛ لأنها ذات معالم غير بيّنة وواضحة للكثير من الناس في وقتها، واختلاط الأمر بما يكفي للإبهام على الكثيرين منهم في وقتنا الحاضر، لما تساير مع حركتها المشؤومة من ضبابية ولبس وعدم وضوح، خلاف معارك أمير المؤمنين الأخرى (صفين والنهروان)، ولا بدّ أن نعرض كل دواعي اللبس بحيادية تامة من دون التعصب لفئة ما أو لشخص بعينه، ومن ثم نعرضها على القرآن لنميّز أطراف المعركة، من كان منهم على حق ومن كان على باطل، وفق معايير قرآنية لا تقبل الشك والمماراة، وبذلك نكون قد قطعنا شوطاً طويلاً في معرفة حقيقة هذه المعركة وأسرارها.

> لا بَد أن نعرض كل دواعي اللبس بحيادية تامة من دون التعصب لفئة ما أو لشخص بعينه. ومن ثم نعرضها على القرآن لنميّز أطراف المعركة.

وأول ما يُعد من اللبس هم قيادات الأطراف المتنازعة، فكلا القيادتين هم من الصحابة، بل من أوائل الصحابة إذا ما أخضعوا لمعايير قبول الصحابي، فكلاهما من صاحب رسول الله ﷺ منذ بواكير دعوته، وكان قريباً منه، سمع منه وأخذ عنه، وممن قاتل معه ودافع ونافح عن بيضة الإسلام، وكلاهما مشهود له على الأقل ظاهراً بالإيمان بالله والتصديق برسوله، ولم يخرج أي منهم عن هذه الصحبة بنفاق أو ردة أو شقاق على رسول الله ﷺ على الأقل في حياته، على خلاف باقي قيادات المعارك الأخرى (فقائد الطرف الثاني في معركة صفين معاوية بن أبي سفيان وعمرو بن العاص مشهود لهم بالنفاق وهم من الطلقاء، وقائد الطرف الثاني في معركة النهروان هو حرقوص بن زهير ذو الثدية (شيطان الردهة) وهذا معروف عنه بشقاقه عن رسول الله ﷺ وأن رسول الله أمر بقتله.

ودفع ما يخص اللبس الأول، فإنَّ القرآن صريح بتمييز الأولين كلاً بحسب سبقه إلى الإسلام، وخصهم تبعاً لذلك بالقرب الإلهي ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾[1]، وقد سئل عنها رسول الله ﷺ، فقال: (أنزلها الله تعالى ذكره في الأنبياء وأوصيائهم، فأنا أفضل أنبياء الله ورسله وعلي بن أبي طالب وصيي أفضل الأوصياء)[2]، مع كثير من آيات القرآن الكريم التي تفضل السابق على غيره عند مماثلة الأقران، وتتحف السابق إلى الله بكرامة الإيمان، وهذه واحدة مما لعلي عليه السلام لا يجاريه فيها أحد ولا ينتزع رداءها منه أحد، سبق كل سابق وقصر عن مساواته كل لاحق، قال تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾[3]، فعن سليم بن قيس عن الحسن بن علي عليه السلام: إنه قال في تفسير هذه الآية: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ﴾، فكما أن للسابقين فضلهم على من بعدهم كذلك لأبي علي بن أبي طالب عليه السلام، فضيلته على السابقين بسبقه السابقين)[4]، وهذه الآية وغيرها من الآيات بينت مدى حظوة أمير المؤمنين عليه السلام في قيادة الأمة، وكذلك كان للحديث الشريف الذي سوف نذكره دلالة على هذا المعنى ففي قوله ﷺ: (علي مني بمنزلة هارون من موسى إلّا أنّه لا نبي بعدي)[5] فإنّه من خلال هذا الحديث وجب لعلي مع رسول الله ﷺ كل ما وجب لهارون مع موسى إلا النبوة، كالوزارة والمؤازرة واستخلاف المقام في الناس بعد رسول الله ﷺ والشراكة في الأمر، فكل ما كان لهارون كان لعلي قال تعالى: ﴿وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي هَارُونَ أَخِي اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي﴾[6] وبذلك يكون اللبس الأول مرفوع ومرفوض لا عذر في مخالفتهم إياه أو التلبس عليه.

أما اللبس الثاني، فإنّه لم ترجح عند الكثيرين من المسلمين في الماضي والحاضر كفة إحدى القيادتين على الأخرى، ولم ترجح عندهم أفضلية إحداهما على الأخرى في هداية الأمة، فكلاهما من الصحابة وكل الصحابة عدول (على رأي)، وكلاهما من الوزن الثقيل والمعتد عند الأمة من حيث الإيمان والمنزلة والقرب من رسول الله ﷺ، فمنهم من هو صهره وابن عمه، ومنهم من هو ابن عمته، ومنهم من هي زوجته، وكلاهما يعتقد أنّه ممن يجزي أخذ الأحكام عنه ويبرئ للذمة، ويهدي إلى الصراط المستقيم، وكلاهما يرفع شعار ﴿يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾[7] لقول رسول الله -كما يزعمون- (أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم)، أما قادة معركة صفين والنهروان فليس لهم هذا الثقل وليست لهم مرجعية أو سابقة في الإسلام.

ودفع اللبس الثاني (التردد بين الكفتين في أيهما أفضل وأيهما أرجح في هداية الأمة) فلا دفع مثل قوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لَا يَهِدِّي إِلَّا أَنْ يُهْدَى فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾[8]، في هذه الآية المباركة إشارة لطيفة تبين أنّ علامة الهادي إلى الحق والذي هو أحق بأن يتبع وتنقاد له الأمة (كإمام) هو أن يكون غير مهدى، ومن مثل علي عليه السلام داع إلى الصراط المستقيم، ومن مثله متبعٌ لأحكام الله وسنة رسوله، وأعلم بكتاب الله. فعن نصير بن سليمان الأحمسي عن أبيه قال: قال علي: (والله ما نزلت آية إلا وقد علمت فيما نزلت وأين نزلت، إنّ ربي وهب لي قلباً عقولاً ولسانا سؤلاً)[9]، ومن مثله هادٍ إلى غامض أحكام كتاب الله، وهو الذي جعله الله ترجمان قرآنه بعد رسول الله ﷺ، ووصفه بالأذن بالواعية ﴿وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ﴾[10]، ومن مثله سابق إلى كل خير ﴿وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾[11]، وأنّه لم يحتج إلى أحد بعد رسول الله ﷺ في علم ولا فقه، وأن جميعهم كانوا يحتاجون إليه وهو لا يحتاج إلى أحد، ثمَّ أليس من الإنصاف فيمن لا يجد في نفسه قوة النهوض بالأمر إلا بغيره، أولى به أن يدب بحكم التبعية للذي قادر على الأمر وهو على الصراط المستقيم ..أليس في هذا كفاية الإيمان به إماماً وهادياً إلى الرشد.

اللبس الثالث كلا القيادتين تؤمن بنظرية التنصيص القائلة بأن الإمامة لا تكون إلا بنص، كلا القيادتين ترى نفسها أحق بالحكم من الأخرى وأكثر أهلية في اعتلاء سِدّة الحكم، لورود نص فيها، فطرف يرى إنه منصوص عليه بأمر من الله ورسوله، والطرف الآخر يرى أنه قد اختير من ضمن الذين رشحوا لخلافة رسول الله ﷺ، بنص من عمر وعمر ممن لا يرد له رأي، أما قادة باقي المعارك فهم أدرى بأنفسهم وهم يعلمون أن لا نص عليهم، لكنهم لا يرون ما يراه قادة معركة الجمل، فهم يرون أن السلطة امتياز لكل من له القدرة على إدارة الدولة وتحقيق المصالح.

وهذا اللبس (أحقية الحكم) فمدفوع بقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾[12]، وهذا نص إلهي صريح بولاية أمير المؤمنين عليه السلام لا اجتهاد قباله، ولا ينكر نزوله فيه عليه السلام، إلا الأفاك الأشر، المجاهر بخلاف القرآن وما جاء به رسول الله ﷺ، وهو نص إلهي قام بتبليغه وبيانه لأهميته وخطورته رسول الله ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى، إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾[13]، يوم غدير خم بعد نزول هذه الآية ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾[14]، بلهجة جدية صارمة تدل على وجوب التبليغ بالحال، غير قابل للتأجيل، فلم يتجرأ رسول الله ﷺ أن يتقدم خطوة واحدة، حتى ينفذ ما عزم الله به عليه في أمر ولاية علي عليه السلام، في حين أن النص الذي اعتمده الطرف الآخر لا يتعدى كونه نصاً بشرياً- تتلاعب به الميول والأهواء والأمزجة - يحصر مجموعة مؤلفة من ستة اشخاص في دائرة الشورى؛ ليختاروا إماماً لهم، وهذا النص شرعاً وعقلاً لا تقوم له قائمة أمام النص الإلهي، وبهذا يتبين من هو الأحق بالإتباع ويبين من هو الحاكم ومن هو المحكوم.

(١) سورة الواقعة، الآيتان: ١٠ -١١.
(٢) كتاب سليم بن قيس، سليم بن قيس الهلالي الكوفي، ص ١٩٨.
(٣) سورة التوبة، الآية: ١٠٠.
(٤) شرح أحقاق الحق، السيد المرعشي، ج ١٤، ص٣٣٤.
(٥) مناقب الإمام أمير المؤمنين، محمد بن سليمان الكوفي، ج ١،ص ٥١٥.
(٦) سورة طه، الآيات: ٢٩- ٣٥.
(٧) سورة غافر، الآية: ٣٨.
(٨) سورة يونس، الآية: ٣٥.
(٩) أنساب الأشراف، أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري، ج٢، ص٩٩.
(١٠) سورة الحاقة، الآية١٢.
(١١) سورة فاطر، الآية: ٣٢.
(١٢) سورة المائدة، الآية: ٥٥.
(١٣) سورة النجم، الآيتان: ٣-٤.
(١٤) سورة المائدة، الآية: ٦٧.

أثر القرآن

في حماية فكر الفرد من الانحراف الفكري والاجتماعي

تعتبر ظاهرة الانحراف الفكري ظاهرة قديمة وليست بحديثة العهد، فقد عانت منها المجتمعات منذ القدم، وحاولت التشريعات بمختلف أشكالها التصدي لها دون أن تكون هنالك جدوى. والانحراف هو الخروج عن جادة الصواب، أو الابتعاد عما هو مألوف ومتعارف عليه من عادات وسلوك، ويكون بخلاف الفطرة السليمة، واتباع الطريق الخطأ المنهي عنه دينياً، أو الخضوع والاستسلام للطبيعة الإنسانية دون قيود، أو ضوابط المفاهيم القرآنية التي يمكن التمسك بها والامتثال لحكمها.

الشيخ: ليث عباس

الانحراف الفكري للفرد قد يسري إلى المجتمع الذي يحيط به ليصبح فيما بعد انحرافاً اجتماعياً يمكن وصفه بانه صدور أفعال أو سلوكيات تخرق وتخالف المعايير الإسلامية التي جاء به القرآن الكريم للحفاظ على استقرار المجتمع، أو هي التصرفات التي تكسر قواعد وأعراف وأخلاقيات أي مجتمع بما في ذلك القوانين المسنونة، فهي ظاهرة اجتماعية يصعب ضبطها والسيطرة عليها والتخلص من آثارها؛ فالانحراف الاجتماعي أساسه الانحراف الفكري للفرد. وأهم الانحرافات الاجتماعية التي ذكرها القرآن الكريم هي الشرك، والقتل، والسرقة، والزنا، والربا، والغصب، إلى غير ذلك من السلوكيات السلبية.

فظاهرة الانحراف الاجتماعي من أبرز السلبيات التي تعترض مسيرة البشرية نحو الكمال، وتتسبب بسقوط الأمم. وحيث يوجّهنا القرآن الكريم بأسلوب بلاغي، وتركيب عذب، ومضمون قوي في آياته المباركة التي تحوي الموعظة، والأحكام، والقصص إلى هدايتنا على الطريق القويم، ويعلمنا كيف نسير على النهج الصحيح، ويعدل فينا الاعوجاج بعد معرفتنا بعلومه، ومعانيه بدقة، وأن لا نمر على آياته مرور الكرام كأنما نقرأ قصة أو جريدة؛ لأنه كتاب الله تعالى أنزله على نبينا الأكرم ﷺ ليكون دستور الأمة ومصدر تشريعها الأول، والهداية والصلاح، والتوفيق والنجاح، ولا فلاح للأمة إلّا بالتمسك ب،ه ولا خروج لها من أدوائها وعللها إلا بالسير على نهجه القويم. فهو كتاب يدعو إلى العدل والإحسان والتعاون والوئام ويمقت البغي، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكّرون﴾[1]. وينهى عن الظلم والعدوان وتسلط القوي على الضعيف، والغلو في الدين، قال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لاَ تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ﴾[2]. وقد نقّى عقل المسلم من الخرافة، والسحر، والشعوذة، والوهم، وادعاء علم الغيب. فالقرآن الكريم هو أساس حماية الفكر ومنطلق الاعتدال والتوسط، والأمن الفكري الذي هو مطلب لتربية الأجيال والناشئة في عصر الانفتاح والعولمة والتمدن وانفتاح الشرق على الغرب. فالأمن الفكري إذا تحقق في الأمة يكون مصدر عزها وتطورها ونموها حضارياً وثقافياً. قال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ﴾[3]. إنّ المسؤولية في معرفة القرآن وفهم آياته وتطبيق قيمه الأخلاقية والإنسانية تقع على عاتق جميع المسلمين وبنحو خاص الذين آمنوا؛ لأنّ القرآن الكريم حرص بمنهجه المتميز على إخراج الناس من الظلمات إلى النور، وتحصين فكرهم من

(١) سورة النحل: الآية ٩٠.
(٢) سورة المائدة: الآية ٧٧.
(٣) سورة الأنعام: الآية ١٥٣.

الزيغ والانحراف، والحفاظ عليهم من الاعتداءات الحسية والمعنوية من خلال:

التنشئة والتربية على مبادئ الإسلام، وفضائله، بحيث يتلقاها الفرد المسلم شيئاً فشيئاً منذ نعومة أظفاره، أو من حين دخوله في الإسلام، ومن أجل تحقيق هذا الهدف الكبير، جاء المنهج القرآني بالخطوات الآتية:

١. الحض على طلب العلم والتعلم:

قال تعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾(٤)، أو التنويه بالعلم وبأهله وطلابه قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾(٥)، أو الحث على سؤال أهل العلم، والرجوع إليهم، ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾(٦)، أو ذم الجهل وأهله قال تعالى: ﴿وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾(٧).

٢. حض القرآن على التفكر والنظر وفي هذا الأسلوب القرآني دعوة إلى تحرير العقل من التقليد الأعمى، والتعصب المقيت:

قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ * وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ * وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ * وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾(٨).

(٤) سورة طه: الآية ١١٤.
(٥) سورة فاطر: الآية ٢٨.
(٦) سورة النحل: الآية ٤٣.
(٧) سورة الأحزاب: الآية ٧٢.
(٨) سورة الغاشية: الآية ١٧ – ٢٠.

٣. دعوة القرآن إلى الدخول في الإسلام والعمل الصالح والتقوى والأخلاق الكريمة:

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾(٩). ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾(١٠).

أما الجانب الثاني من منهج القرآن في تحصين الفكر، فيتمثل في حماية الفرد وحراسته من العاديات المضلة، سواءً كانت معاصي أم شهوات.. ولا شك أن آثار المعصية ولا سيما الكبائر منها كثيرة جداً، سواء على العاصي نفسه، أو على المجتمع، أو على البيئة.

إنّ المفاهيم القرآنية تحمل في طياتها الطاعة والاستقامة والعمل الصالح والثواب والعقاب والإيمان بالله تعالى والتقوى فقد تصدى القرآن الكريم أيضاً في وضع حد لبعض الانحرافات التي لها تأثير كبير على المجتمع وتهدّد أمنه واستقراره، ووضع عقوبات في الدنيا والأخرة لتجريم ذلك، ولكن لم تنته الحالات وإن وجدت نصوص تجرم ذلك، فالحاجة ماسّة إلى معالجتها ومواجهتها والتصدي لها من خلال تأسيس معالجات للانحراف من النصوص القرآنية والالتزام بما فرض الله تعالى علينا، فالإسلام قدم منهج متكاملاً في تقويم السلوك الخلقي للإنسان، والتصدي لأغلب حالات الانحرافات السلوكية، ويؤدي دوراً مهماً في تقويم النفوس وتهذيبها. كما وإنّ هنالك من الوسائل التي تساعد الإنسان أن لا يكون منحرفاً وذلك عن طريق التربية بالقدوة، والتربية بالبيئة الصالحة، والأسرة المنضبطة، والتربية بالموعظة، والتربية بالمراقبة على النفس، والتربية بالعقوبة.

والإسلام الذي جاء به نبينا محمد ﷺ هو خاتم الأديان وأفضلها، قال تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾(١١). واحتوت المنظومة الإسلامية برنامجاً متكاملاً لبناء الفرد وبناء المجتمع، ولتنظيم علاقة الفرد بالله تعالى وبالآخرين الذين يعيش معهم، فلم يكن الإسلام برنامجاً عبادياً فقط، بل عبادياً واجتماعياً واقتصادياً وسياسياً وغيرها. دخل في ميادين الحياة جميعها وأعطى الخطوط المستقيمة الناجحة لبناء الفرد ذاتياً والمجتمع كلياً. ولقد حرص الإسلام بوساطة القرآن الكريم وسنة المعصومين ﷺ بدءاً من الرسول الكريم ﷺ وانتهاءً بالإمام الحجة بن الحسن ﷺ على صناعة الفرد وصناعة المجتمع على وفق أسس ربانية سليمة وصحيحة. ومما لا يخفى أنّ رسول الله ﷺ قد أوصى بالثقلين والتمسك بهما؛ أحدهما كتاب الله القرآن الكريم والثقل الثاني هم أهل بيته الأطهار ﷺ، فهم عدل القرآن وهما حبل الله المتين والأمان للناس من الضلال إلى يوم القيامة. وقد جاء في السيرة النبوية الشريفة أنّ رسول الله ﷺ قال: (إني أوشك أن أدعى فأجيب وأنى تارك فيكم الثقلين كتاب الله عز وجل وعترتي، كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض وعترتي أهل بيتي، وإن اللطيف الخبير أخبرني أنّهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض فانظروني بم تخلفوني فيهما)(١٢). وعن أمير المؤمنين ﷺ قال: (إنّ الله تبارك وتعالى طهرنا وعصمنا وجعلنا شهداء على خلقه وحجّته في أرضه وجعلنا مع القرآن، وجعل القرآن معنا لا نفارقه ولا يفارقنا)(١٣). إنّ أهل البيت ﷺ كتاب الله المكنون وعدل القرآن المجيد، ومعدن آياته والعلم بظاهره وباطنه، وهم أكثر الناس تطبيقاً لآياته وأحكامه، والعمل بما جاء فيه وهم بلا شك المصداق العيني للقرآن.

إذن فإنّ المسلمين هم المسؤولون أمام القرآن وهم بنفس الدرجة أيضاً المسؤولون أمام أهل البيت ﷺ. كان للإمام الصادق ﷺ دور متميز لا يمكن إنكاره على زرع القيم والنظم والنبل الإلهية الإسلامية الرصينة داخل المجتمع الذي يعيش فيه وللمجتمعات في الأجيال القادمة. فأعطى ﷺ في هذا الصدد كماً كبيراً من التوجيهات السديدة والآراء الفاضلة التي إن لو كان قد أخذ بها المجتمع الإسلامي لتسامى وارتفع شأنه وعلت همته. فقال ﷺ: (خمس خصال من فقد واحدة منهن لم يزل ناقص العيش، زائل العقل، مشغول القلب: فأولها صحة البدن، والثانية الأمن، والثالثة السعة في الرزق، والرابعة الأنيس الموافق. قلت: وما الأنيس الموافق؟ قال الزوجة الصالحة، والولد الصالح، والخليط الصالح. والخامسة وهي تجمع هذه الخصال: الدعة)(١٤).

(٩) سورة البقرة: الآية ٢٠٨.
(١٠) سورة آل عمران: الآية ١٠٢.
(١١) سورة آل عمران: الآية ١٩.

(١٢) مسند الإمام أحمد بن حنبل، (١٧/٣).
(١٣) الكافي، الشيخ الكليني، (٢٣٩/١).
(١٤) الخصال، الشيخ الصدوق، ص ٢٨٤.

أقيموا الصلاة

﴿قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ آَمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَالٌ﴾.

الآية الشريفة تتناول موضوعاً من مواضيع الشريعة المقدسة التي بُعث من أجلها الأنبياء والمرسلون (صلوات الله عليهم أجمعين) والتي فيها صلاح الفرد والمجتمع، ألا وهي الصلاة.

الرؤية الأولى

الآية الشريفة صيغة من صيغ الخطاب؛ وهناك نسبة قائمة بين المتكلم والمخاطب والمادة المقصودة (المطلوبة)؛ ومن هذه النسبة ينتزع عنوان طالب ومطلوب منه، ومطلوب. وكما هو معروف إنّ الأمر عندما يكون من العالي إلى الداني يكون المطلوب وجوباً على المخاطب؛ أو بنحو آخر، إنّ هيئة الأمر مفادها النسبة الطلبية وثمرتها المطلوب في عهدة المخاطب.

فالآية فيها خطاب للنبي الأكرم ﷺ تأمره أن يأمر العباد بأمرين هما: الأول: إقامة الصلاة. والثاني: الإنفاق من أموالهم.

الرؤية الثانية

جاء في أمر المولى عزّ وجلّ إقامة الصلاة وهي من أعظم الدعائم التي بني عليها الإسلام، وإنّها عمود الدين، (إذا قبلت قبل ما سواها وإن رُدّت رُدَّ ما سواها)، وإنّها أفضل ما يتقرب به العبد إلى ربه، وإنّها أول ما يُسأل عنه العبد يوم القيامة، وبها يرفع عمله، ويكمل بناؤه، وليس بين المؤمن والكافر إلّا الصلاة. والصلاة وفادة على الله تعالى، وهي أول دعوة الأنبياء وآخر وصية الأوصياء. وقد اهتم جميع الأنبياء والأئمة الهداة (صلوات الله عليهم اجمعين) بها وحثوا العباد على إقامتها وعدم التهاون بها.

ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: قال رسول الله ﷺ: (ما من صلاة يحضر وقتها إلا نادى ملك بين يدي الله أيّها الناس قوموا إلى نيرانكم التي أوقدتموها على ظهوركم فأطفؤها بصلاتكم)[1]. ولعلّ المقصود بإقامة الصلاة هو الحثّ على إقامتها بأحسن وجه وأكمل شرط. سئل أبو عبد الله عليه السلام عن أفضل ما يتقرب به العباد إلى ربّهم، فقال: (لا أعلم شيئاً بعد المعرفة أفضل من الصلاة)[2].

الرؤية الثالثة

الصلاة مظهر من مظاهر الوحدة، فإذا حان وقتها اجتمع المسلمون في المساجد أو في غيرها لأدائها متوجهين إلى الكعبة المشرفة (القبلة). فتوحدوا في الوقت والاتجاه وإدامة الصلة بالمولى.

الرؤية الرابعة

المطلب الثاني في الآية الشريفة إنفاق الأموال، ومنها الزكاة التي تعدّ من ضروريات الدين، وأحد الأركان التي بُنيَ عليها الإسلام، وقد قرنها الله تعالى بالصلاة في العديد من الآيات الشريفة، ومنكرها كافر. فقد ورد في جملة من الأخبار أنّ مانع الزكاة كافر، وقد اهتم المشرّعون في بيان شرائط الزكاة ووجوبها، ومصرفها، ومن هم مستحقوها. ثم إنّ الزكاة من مواطن الوحدة ورصّ صفوف المسلمين، فالغني يسدّ حاجة الفقير مستشعراً فاقته، وهذا يزيد من ألفتهم ومودة البعض للآخر. وقد حثّ الشارع المقدس على الزكاة، وقد ورد عن الرسول الأعظم واوصيائه (صلوات الله عليهم أجمعين) أحاديث كثيرة ترغب في البذل والعطاء. ومن ذلك قول رسول الله ﷺ: (السخاء شجرة من شجر الجنة، أغصانها متدلية على الأرض، فمن أخذ منها غصناً قاده ذلك الغصن إلى الجنة)[3]. وقال ﷺ: (إنّ السخي قريب من اللّه، قريب من الناس، قريب من الجنة، بعيد من النار؛ وإنّ البخيل بعيد من اللّه، بعيد من الناس، بعيد من الجنة، قريب من النار. وجاهل سخيّ أحبّ إلى الله من عابد بخيل، وأدوى الداء البخل)[4].

الرؤية الخامسة

الصلاة والزكاة أختان في الفضيلة، وفيهما توحيد المسلمين. ومثلما الصلاة توحد المجتمعات، فالزكاة تنشأ المجتمعات السليمة وتحصنها من الثغرات الاجتماعية. كذلك الزكاة ضمان لحقوق الفقراء وتحصين أموال الأغنياء. وإذا كانت الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر والبغي، فتطهر نفوس العباد وتدفعها إلى الفضيلة، وكذلك الإنفاق. والصدقات مطهّرة لنفوس العباد من المعاصي والصفات الذميمة، وعلى رأسها البخل. قال تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا﴾[5].

الصلاة مظهر من مظاهر الوحدة، فإذا حان وقتها اجتمع المسلمون في المساجد أو في غيرها لأدائها

قال رسول الله ﷺ: (إنّ السخي قريب من الله، قريب من الناس، قريب من الجنة، بعيد من النار...)

(١) تهذيب الأحكام، الشيخ الطوسي: ٢/ ٢٣٨.
(٢) جامع أحاديث الشيعة، السيد البروجردي: ٤/ ١٩.
(٣) الأخلاق، السيد عبد الله شبر، ص٢٧٦.
(٤) المصدر السابق نفسه.
(٥) سورة التوبة: الآية: ٣.

سلاح الأنبياء

أماني الفرد منا كثيرة ومنها كبيرة، لدرجة يعتقد معها استحالة تحقيقها، واخرى صغيرة فيظن أنها في متناول اليد. وقد تكون الحسابات العقلية والذهنية تتوافق مع هذا الاعتقاد، وهنا نقطة نظام يجب التوقف عندها، إذ إنّ الألطاف الإلهية التي لا تنفك عن الذات المقدسة تضرب تلك الحسابات عرض الحائط، فيكون تحقيق الصعاب أمراً يسيراً ومتحققاً، شريطة أن يكون العبد المؤمن منا متوجهاً بقلبه آملاً في استجابة ربه لدعائه: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾

مؤيد الربيعي

إنّ آلة الدعاء مرتبطة بقواعد يجدها البعض صارمة، ولكنها المدخل الناجع الذي يلج منه العبد أبواب السماء، وفيه منجاته وسعادته في الدارين، فعن الإمام الرضا عليه السلام انه كان يقول لأصحابه: عليكم بسلاح الأنبياء فقيل: ما سلاح الأنبياء؟ قال الدعاء [1]. أن للدعاء مظاهر عدة يمكن أن يحدد من خلالها نوعية الدعاء وكيفية الإجابة.

الدعاء الآني الإجابة

إنّ لهذا الصنف من الدعاء مصاديق، ومن مصاديقه دعوة المظلوم التي بيّنها أمير المؤمنين في قوله حينما قيل له عليه السلام كم بين السماء والأرض ؟ قال دعوة مظلوم)[2]، ومن مصاديق هذا الصنف أيضاً هو دعاء العبد المطيع طاعة ينال منها شرف ورضى الله فيكون كالذي وصف بالحديث القدسي (عبدي أطعني حتى اجعلك مثلي او مثلي أقول للشيء كن فيكون)[3]، وهناك قصص كثيرة نذكر منها قصة هلاك المتوكل (ان هلاك المتوكل كان بعد دعاء الامام الهادي عليه السلام بثلاثة أيام وقد زال عن الامام عليه السلام وباقي شيعته ذلك الكابوس)[4]، وقبال ذلك هناك دعاء ممكن ان يقال عنه آني الإجابة ولكنه طلب ليس فيه رضى الله، أي أنّه دعاء معصية او اعتراض على أمر الله كما فعل الحارث بن النعمان حين اعترض على التنصيب الإلهي للأمام علي عليه السلام حيث قال اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو أئتنا بعذاب أليم، مستشهداً بهذه الآية الكريم: ﴿وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[5]. فما وصل إلى راحلته حتى رماه الله بحجر فسقط على هامته وخرج من دبره، وأنزل الله تعالى: ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾[6].

الدعاء المجاب مع استحالة الإجابة

إنّ من الأصناف الأخرى للدعاءِ ذلك الذي يتم به الإجابة وإن كان الطلب صعب التحقيق بل يمكن ان نقول إنه مستحيل!! إذ انه هو الذي يضرب بالحسابات العقلية المتضمنة استحالة تحقيق الطلب فوق الطبيعي عرض الحائط، وخير مثال على ذلك ما جاء في القرآن الكريم، فيما ورد في قصة زكريا عليه السلام حين قال وهو يدعو ربه: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُن بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا﴾ [7] فمع صعوبة إجابة الدعاء وإنّ الأمر مستحيل المنال إلّا انّه ظل يدعو الله متمسكاً بيقينه ﴿وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ﴾[8] فاستجاب الله عزّ وجلّ له، وهذا من البديهيات التي يخصها بعباده المخلصين فاليقين بأن الله قادر على إزالة العجب ﴿يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُ مِن قَبْلُ سَمِيًّا﴾[9].

دعاء المؤجل الإجابة

وقد يؤخر الله استجابة الدعاء، ومما لا شك فيه أن التأخير فيه مصلحة ومنفعة يعلمها الله، وهنا لا تعدو من ثلاثة، إمّا أن يؤخر الى موعد يرى الله فيه المصلحة العامة أو الخاصة أن تتحقق في هذا الوقت بالذات وفي تحقيقها فوائد لا يدركها الإنسان إلّا بعد أن يلمسها بعين اليقين، وثانيها أن يعوّض بأفضل منها يوم القيامة، وتلك غاية المراد، وآخرها أن يدفع بها شراً بحجمها أو أكبر منها قال تعالى: ﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[10]. قال رسول الله صلى الله عليه وآله (ما من مسلم يدعو الله بدعاء، ليس فيه قطيعة رحم ولا إثم، إلّا أعطاه الله إحدى خصال ثلاث : إمّا أن يعجل في الإجابة ، وإمّا أن يدخر له في الآخرة بأحسن منه ، وإمّا أن يصرف عنه من السوء مثل ما طلبه)[11]، فعلينا أن نعلم أنّ الله أعلم بحالنا منا ولكن المشكلة فينا لقلة صبرنا وتزحزح إيماننا وإذعاننا لله في كلّ أمورنا.

الدعاء المحجوب الإجابة

إنّ هذا الدعاء الذي نلتمس من الله أن لا نكون من أصحابه لهو الدعاء المردود على صاحبه، لكونه إمّا إنه لا يمتنع عن أكل الحرام أو غير متوجه لله في دعائه بقلب مفعم بالإيمان متيقن بالإجابة، أو أن يكون الدعاء لقطيعة رحم أو استجلاب إثم أو ...أو، والموانع كثيرة، قال رسول الله صلى الله عليه وآله (ادعوا الله وانتم موقنون بالإجابة، واعلموا انّ الله لا يستجيب دعاء من قلبه لاهٍ)[12]، بالمقابل ان اختيار كلمة محجوب لغايةٍ، إذ إنّ العبد يمكنه التوبة إلى ربه والعودة إلى جادة الصواب، فتكون الألطاف الإلهية كفيلة بأن ترفع الحجاب عن استجابة الدعاء قال تعالى: ﴿يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾[13].

هناك مسألة مهمة يجب أن ننوه لها، وهي أن العبد قد يكون مطيعاً لله متبعاً أوامره ونواهيه، مخلصاً في دينه، ومع ذلك لا يستجاب لدعائه، وهذا لا يعني أن العبد بعيد عن الله ورضوانه (والعياذ بالله)، ولكن قد تكون هناك موانع، أو عدم وجود مصلحة أو أن تكون هناك عواقب سيئة تترتب على المؤمن إذا ما استجيب دعاؤه، أو قد لا تتلاءم مع شأنية المؤمن والله أعلم بالمصلحة وهذا ما ورد مفهومه في دعاء الافتتاح (لعلَّ الذي أبْطَأَ عني هو خيرٌ لي لِعِلْمِكَ بِعاقبةِ الأمُورِ)، ولكن يبقى المؤمن الواثق بالله ينتظر من الله أن يكلله باستجابة دعائه.

(١) وسائل الشيعة المجلسي ج ٧ ص ٣٩.
(٢) اليعقوبي لليعقوبي ج٢ ص٢٠٩
(٣) بحار الانوار ج ١٠٢ ص ١٦٤
(٤) اخلاق النبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته باقر القرشي ص٢٩١
(٥) سورة الأنفال، الآية ٣٢.
(٦) سورة المعارج: الآية ١
(٧) سورة مريم: الآية ٤ .
(٨) سورة الانبياء: الآية ٨٩.
(٩) سورة مريم: الآية ٧.
(١٠) سورة البقرة الآية ٢١٦
(١١) مستدرك الوسائل حسين النوري الطبرسي ص ١٦٨
(١٢) بحار الانوار العلامة المجلسي ج٩٠ ص ٢٩٤
(١٣) سورة الرعد الآية ٣٩

النصر والشهادة في القرآن الكريم

-قراءات ودلالات قرآنية-

الشيخ عماد الكاظمي

إنَّ الله تعالى قد أكد على هذين الموضوعين في القرآن الكريم في مواطن متعددة بأجلى بيان، وأعظم دلالة تدل على أهميتهما ومقامهما من جهة، ومقام القائمين بهما من جهة أخرى، وفي ذلك دروس وعبر للمسلمين بضرورة التمسك بهذا المنهج القرآني، وفي هذه السطور الموجزة نتأمل في بعض تلك الآثار العظيمة للنصر والشهادة من خلال آيات قرآنية متعددة، تُظهر وتؤكد ما أعده الله تعالى لعباده السائرين على ذلك.

أولاً: النصر

إنَّ الله عز وجل قد حث عباده على نصرة الشريعة المقدسة وما في ذلك من آثار عظيمة للأمة في مواجهتها لأعداء الله تعالى ودينه، وبشَّر المؤمنين بنصره تعالى لهم، قال تعالى:﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾[1]، فالآية المباركة قد تضمنت الشرط وجزاءه، فالشرط ﴿إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ﴾، فإنَّ جزاءه المترتّب عليه البشارة الإلهية العظيمة ﴿يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾، وهناك موارد متعددة ذكرها القرآن الكريم في جانب النظرية والتأسيس، وفي جانب التطبيق والعمل، وسوف أختار مثالين قرآنيين لكلٍّ منهما.

ففي جانب النظرية والتأسيس:

١- قال تعالى: ﴿أَلَا تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ * قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ * وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾[2].

إنَّ هذا الحث الإلهي لعباده على قتال أولئك المعاندين من الكافرين والمشركين ونصرة دينه قد تضمَّن وعودًا وبشارات متعددة منه تعالى، لها أثر في الإقدام على الجهاد وما فيه من انتصارات مادية ومعنوية، حيث تضمَّنت هذه الآيات المباركة بشارات ست:

أ- ﴿يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ﴾.

ب- ﴿وَيُخْزِهِمْ﴾.

ت- ﴿وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ﴾.

ث- ﴿وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ﴾.

ج- ﴿وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ﴾.

ح- ﴿وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ﴾.

٢-قال تعالى:﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا * دَرَجَاتٍ مِنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾[3].

إنَّ الآية تؤسس إلى بيان مقام المجاهدين لنصرة الدين والمقدسات في النظام الإسلامي ومنزلتهم عند الله تعالى، وما في ذلك من آثار كبيرة في الحث على التمسك بهذا السبيل، حيث تضمَّنت هاتان الآيتان المباركة بشارات ثمان:

أ- ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ﴾.

ب- ﴿وَأَنْفُسِهِمْ﴾.

ت- ﴿فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ﴾.

ث- ﴿وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً﴾.

ج- ﴿وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾.

ح- ﴿دَرَجَاتٍ مِنْهُ﴾.

خ- ﴿وَمَغْفِرَةً﴾.

د- ﴿وَرَحْمَةً﴾.

وفي جانب التطبيق والعمل:

١- قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ * إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنْزَلِينَ * بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ * وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾[4]، وقال تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ * وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[5].

فالآيات المباركة تؤكد للمسلمين ما رأوه من نصر إلهي واقعي عظيم لهم في (معركة بدر)، حيث كان ذلك النصر الإلهي والفتح المبين في أول مواجهة

(١) سورة محمد: الآية ٧.
(٢) سورة التوبة: الآيات ١٣-١٥.
(٣) سورة النساء: الآيتان ٩٥-٩٦.
(٤) سورة آل عمران: الآيات ١٢٣-١٢٦.
(٥) سورة الأنفال، الآيتان: ٩-١٠.

للأعداء برغم تفاوت العدد والعدَّة بينهما، ولكن الله تعالى نصر عباده المؤمنين بعقيدة الجهاد في سبيله عز وجل، فأكَّد ذلك في هذه الوعود العظيمة الثلاث:

أ- ﴿إِلَّا بُشْرَى لَكُمْ﴾.

ب- ﴿وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ﴾.

ت- ﴿وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾.

٢- قال تعالى: ﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا * مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا * لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾[٦].

إنَّ هذه الآيات المباركة تبيِّن للمسلمين ذلك الواقع العظيم الذي كان في يوم الأحزاب (معركة الخندق) واجتماع ذلك العدو الكبير من أجل القضاء على الإسلام، وقد بيَّن الله عز وجل هذه الصورة العظيمة لأولئك المجاهدين من جهة، وما وعدهم الله تعالى من جهة أخرى، وقد تضمنت الآيات صورًا عشراً تؤكد ما كان عليه المسلمون من عقيدة راسخة لم ترهبهم كثرة العدو، وفي ذلك حث للأمة على التمسك بهذا المنهج الذي كان له آثار كبيرة في الواقع:

أ- ﴿قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ﴾

ب- ﴿وَرَسُولُهُ﴾.

ت- ﴿وَصَدَقَ اللَّهُ﴾

ث- ﴿وَرَسُولُهُ﴾.

ج- ﴿وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا﴾.

ح- ﴿وَتَسْلِيمًا﴾.

خ- ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾.

د- ﴿مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ﴾.

ذ- ﴿وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾.

ر- ﴿لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ﴾.

ثانيًا: الشهادة

إنَّ الله عز وجل قد بيَّن في القرآن الكريم منزلة أولئك الذين يقدِّمون أنفسهم للشهادة ونصرة الشريعة المقدسة وما في ذلك من آثار عظيمة في الدنيا والآخرة.

١- قال تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ * فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ * الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ * الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾[٧].

إنَّ هذه الآيات المباركة قد تضمنت أربعة عشر مقامًا وبشارة لهذه الثلة المجاهدة العظيمة، بما يؤكد مقام الشهداء في الإسلام.

أ- ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا﴾

ب- ﴿بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾

ت- ﴿فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾

ث- ﴿وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ﴾

ج- ﴿أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾.

ح- ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.

خ- ﴿يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ﴾.

د- ﴿وَفَضْلٍ﴾.

ذ- ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

ر- ﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ﴾.

ز- ﴿وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾.

س- ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا﴾.

ش- ﴿وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ﴾.

ص- ﴿وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾.

٢- قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾[٨].

إنَّ هذه الآية المباركة تؤكد ذلك الوعد الإلهي للذين نذروا أنفسهم لله تعالى، ونصرة دينهم، والتضحية بأموالهم وأنفسهم في سبيل ذلك، حيث تضمَّنت الآية هذه الصورة العظيمة الثلاث لهذه التجارة بين العبد وربه:

أ- ﴿لَهُمُ الْجَنَّةَ﴾.

ب- ﴿فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ﴾.

ت- ﴿وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾.

(٦) سورة الأحزاب: الآيات ٢٢-٢٤.

(٧) سورة آل عمران: الآيات ١٦٩-١٧٣.

(٨) سورة التوبة: الآية ١١١.

الغرق في النِّعَم

ضرغام محمد علي

عطايا الرحمن ونعمه علينا لا تُعد ولا تحصى، فنحن غارقون في أنعم الله عز وجل. هنالك عقبات قد نتعرض لها أثناء مسيرتنا في الحياة، ووقتها نكون بأمس الحاجة لحلها، إذ قد تتعقّد الأمور عندنا وتنغلق الأبواب بوجوهنا وتنقطع آمالنا للوصول للحل المناسب، فبين ليلة وضحاها وفي ظل التجاذبات والتعرجات والمعرقلات، وإذا باللطف الإلهي يغمرنا بوابله وتُحل مشكلتنا بنحو لم نكن نتوقعه.

وفي مثل هذه المواقف يستولي على الإنسان شعور غريب هو مزيج من الحياء والانكسار أمام الله سبحانه وتعالى، وفي بعض الأحيان قد تُذرف الدموع لما تلقاه هذا الإنسان من عظيم الألطاف والنعم الإلهية.

أنعم الله لا تقتصر على النعم المحسوسة، فوجودنا هو نعمة من نعم الله، وينبغي أن نشكر الله على تلك النعم ولا ننساها في السرّاء والضّراء، فهذا الإمام الحسين عليه السلام يذكرنا ببعض النعم ويعلمنا أدب التعامل معها وشكرها بالشكل اللائق من خلال دعائه عليه السلام في يوم عرفة، إذ يقف تحت حرارة الشمس اللاهبة فيضج بالبكاء وهو على تلك الحال يذكر النعم بدءاً من أهداب العين ومروراً بتعقيدات الأذن والأسنان وانتهاءً بالقلب وسائر الأعضاء والجوارح فيقول عليه السلام: «فَأَيُّ نعمِكَ يَا إِلَهِي أُحْصِي عَدَداً وذِكْراً، أَمْ أَيُّ عَطَايَاكَ أَقُومُ بِهَا شُكْراً، وَهِيَ يَا رَبِّ أَكْثَرُ مِنْ أَنْ يُحْصِيَهَا الْعَادُّونَ، أَوْ يَبْلُغَ عِلْماً بِهَا الْحَافِظُونَ، ثُمَّ مَا صَرَفْتَ وَدَرَأْتَ عَنِّي اللَّهُمَّ مِنَ الضُّرِّ وَالضَّرَّاءِ، أَكْثَرُ مِمَّا ظَهَرَ لِي مِنَ الْعَافِيَةِ وَالسَّرَّاءِ، وَأَنَا أَشْهَدُ يَا إِلَهِي بِحَقِيقَةِ إِيمَانِي، وَعَقْدِ عَزَمَاتِ يَقِينِي، وَخَالِصِ صَرِيحِ تَوْحِيدِي، وَبَاطِنِ مَكْنُونِ ضَمِيرِي...»[1]. وكذلك من الأنعم التي منَّ الله بها علينا النعم المعنوية التي قليلاً ما نلتفت إليها، حيث نقرأ في مناجاة إمامنا زين العابدين عليه السلام بقوله: (ومن أعظم النعم علينا جريان ذكرك على ألسنتنا، وإذنك لنا بدعائك وتنزيهك وتسبيحك)[2]. أي: إلهي إنّ قدرتي على ذكرك وسماحك لي بإذن التحدث معك من أعظم النعم التي منننت بها عليَّ. إنّ من رحمة الله على عباده أن أجاز لهم أن يُقبلوا عليه ويحدثوه متى شاءوا فمن جملة ما نستطيع التقرب به الى الله عز وجل هي الصلاة إذ إنّها تتمحور بحضور متكامل للجسد والروح، ثم إننا من خلال الصلاة ننهل من فيض ما نستطيع التكلم به مع الله عز وجل، لو نلتفت جيداً حول لطف الله على عباده نجد بأنه قد أذن لعباده المخلصين والمقصرين المذنبين على حدٍ سواء بالدخول إلى فيض نعمه، ولم تقتصر نعمه على المطيعين فقط، بل شملت كل إنسان يرغب بالتوبة والعودة إلى الله إذ يقول سبحانه: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾[3].

إنّ تزايد محبة الإنسان لله عزوجل تبدأ من خلال ذكر النعم التي منّ الله بها عليه فيحمد الله عزوجل على تلك النعم؛ إذ إنّ هذه الحياة عبارة عن مواقف وظروف يمر بها كل إنسان، فيكون فيها بأمس الحاجة إلى من يُغيثه ألا وهو الرحمن الرحيم اللطيف الودود الذي دائماً ما يُغيثنا. نعم إن الله رحيمٌ بعباده يُعاملنا بكل رحمة وكرم، وسينَعمُ على من يتوجه إليه بالشكر.

فمن واجب كل إنسان أن يواظب على شكر الله عز وجل في كل حال من الأحوال؛ لأنه وكما قال الإمام محمد بن علي الجواد عليه السلام (نعمة لا تشكر كسيئة لا تغفر)[4]. فالتفكر بأنعم الله وشكرها هو الطريق لمعرفة المزيد من النعم المعنوية والمادية، فالله تعالى يقول في كتابه العزيز: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾[5].

(١) مفاتيح الجنان، عباس القمي.
(٢) بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ج ٩١، ص ١٥١.
(٣) سورة الزمر، آية ٥٩.
(٤) بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ج ٦٨، ص٥٣.
(٥) سورة إبراهيم، آية: ٧.

سورة الصافات

إنّ سورة الصافات من السور المكية، وهي تمتلك كافة خصائص السور المكية كافة، وتسلط الأضواء على أصول المعارف والعقائد الإسلامية الخاصة بالمبدأ والمعاد. وتتوعد المشركين بأشد العقاب وذلك من خلال العبارات الحازمة والآيات القصيرة العنيفة الوقع، وتوضح -بالأدلة القاطعة – بطلان عقائدهم. ومما يذكر، فإن تسمية هذه السورة بالصافات جاءت نسبة إلى الآية الأولى فيها. وبصورة عامة يمكن تلخيص محتوى سورة الصافات في خمسة أقسام:

القسم الأول

يبحث حول مجاميع من ملائكة الرحمن، ومجموعة من الشياطين المتمردين ومصيرهم.

القسم الثاني

يتحدث عن الكافرين، وإنكارهم للنبوة والمعاد، والعقاب الذي ينتظرهم يوم القيامة، كما يستعرض الحوار الذي يدور بينهم في ذلك اليوم، ويحملهم جميعاً الذنب، والعذاب الإلهي الذي سيشملهم، كما يشرح هذا القسم جوانب من النعم الموجودة في الجنة إضافة إلى ملذاتها وجمالها وسرور أهلها.

القسم الثالث

يشرح بصورة مختصرة تأريخ الأنبياء أمثال نوح، وإبراهيم، وإسحاق، وموسى، وهارون، وإلياس، ولوط، ويونس عليهم السلام، وتنقل صورة ذات تأثير قوي، كما يتحدث هذا القسم بشكل مفصل عن إبراهيم محطم الأصنام وعن جوانب مختلفة من حياته، والهدف الرئيسي من وراء سرد قصص الأنبياء – مع ذكر بعض الشواهد العينية من تأريخهم – هو تجسيد حوادث تلك القصص وتصويرها بشكل محسوس وملموس.

القسم الرابع

يعالج صورة معينة من صور الشرك والذي يمكن اعتباره من أسوأ صور الشرك، وهو الاعتقاد بوجود رابطة القرابة بين الله سبحانه وتعالى والجن والملائكة، ويبين بطلان مثل هذه العقائد التافهة بعبارات قصيرة.

القسم الخامس

يتناول في عدة آيات قصار انتصار جيوش الحق على جيوش الكفر والشرك والنفاق، وابتلاءهم – أي الكافرين والمشركين والمنافقين – بالعذاب الإلهي، وتنزه آيات هذا القسم الله سبحانه وتعالى وتقدسه عن الأشياء التي نسبها المشركون إليه، ثم تنتهي السورة بالحمد والثناء على الباري عز وجل.

إنّ فضيلة تلاوة سورة الصافات في حديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله، جاء فيه: (من قرأ سورة الصافات أعطي من الأجر عشر حسنات، بعدد كل جن وشيطان، وتباعدت عنه مردة الشياطين، وبرئ من الشرك، وشهد له حافظاه يوم القيامة أنّه كان مؤمناً بالمرسلين)[1].

وعن الإمام الصادق عليه السلام جاء فيه: (مَنْ قَرَأَ سورةَ الصَّافَّاتِ في كلِّ جُمُعَة لَمْ يَزَلْ محفُوظاً من كلِّ آفَة، مدفُوعاً عَنْهُ كلُّ بَلِيَّة في حياةِ الدُّنيا، مرزُوقاً بأَوْسَع ما يكُونُ من الرِّزْقِ، ولَمْ يُصبْهُ اللهُ في مالِهِ ولا ولْدِهِ ولا بَدَنِهِ بسُوء من شَيطان رجيم ولا مِن جبَّار عنيد، وإنْ مَاتَ في يومِهِ أو في ليلتِهِ بَعَثَهُ اللهُ شَهيداً وأَدْخَلَهُ الجنَّةَ مَعَ الشُّهَدَاء)[2].

إنّ الثواب العظيم الذي يناله من يتلو سورة الصافات، جاء نتيجة لما تحويه هذه السورة المباركة. فنحن ندرك أنّ الهدف من التلاوة هو التفكر، ومن ثم الاعتقاد، ومن بعد العمل. ومن دون شك فإنّ الذي يتلو هذه السورة بتلك الصورة، سيحفظ من شر الشياطين، ويتطهر من الشرك، ويمتلك الاعتقاد الصحيح القوي، ويمارس أعمالا صالحة، ويتعظ من القصص الواقعية للأنبياء والأقوام الماضية، وإنه سيحشر مع الشهداء.[3]

(١) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي ، ج١٤، ص٢٧٩.
(٢) تفسير جوامع الجامع، الشيخ الطبرسي، ص ١٥٥.
(٣) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، (١٤/ ٢٧٩).

العدل والمساواة في القرآن الكريم

يتبادر الى الأذهان بين الحين والآخر كلمات تطرق مسامعنا فيشطح الذهن تارة بمعانيها المبهمة ويتلبس عليه تارة أخرى، ظنا انها كلمات عدت ذات معنى واحد، ومن هذه الألفاظ التي لا يخلو أي مجتمع من استخدامها و العمل بها هي العدل والمساواة، أنهما لفظان لكل منهما معنى خاص به، فالأول هو الاعتدال والتوسط وهو بعكس الجور، وأمّا الآخر فهو توزيع الحقوق والواجبات بشكل متساو، ويمكن أن نظهر ذلك من خلال مثال بسيط، فلو فرضنا ان مجموعة من الطلاب يؤدون الامتحان فيحصلوا على الدرجات المتفاوتة حسب مستواهم العلمي وأدائهم للامتحان فهذا هو العدل .

اما توزيع الكتب بشكل متساوٍ على نفس المجموعة من الطلاب المتفاوتين في مستواهم العلمي فهو المساواة.

والآيات القرآنية تبين مغزى هاتين اللفظتين واستعمالاتهما فقد قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾[1]، والآية واضحة في بيان أهمية العدل وأن الله يأمر عباده بتطبيق العدل ومصاديقه، كأداء الأمانة والقوامة بالقسط، وأن يكون حكمهم في الناس، كحكمه بالعدل بين عباده، وحذرهم من مغبة عدم العدل بينهم، قال رسول الله ﷺ: (من ولي عشرة فلم يعدل بينهم جاء يوم القيامة ويده ورجلاه ورأسه في ثقب فاس)[2].

ثم أن الله عز وجل ذكر في منطوق ومفهوم الآيات القرآنية المساواة، إذ قال: ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيراً﴾[3] فهل ميّزَ بين الرجل والمرأة؟ كلا فمثلما للرجل نصيب بالمثوبة والنكال، فلها نصيب منهما بدون زيادة أو نقصان، وهذا هو شأن الدين الحق في التعامل بالمساواة بين الرجل والمرأة، وكذلك شأنه في التعامل مع جميع الأعراق والأجناس والألوان، فلا مفاضلة في لون أو جنس أو عرق، إنّما المفاضلة في التقوى ﴿أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾[4]، وقال رسول الله ﷺ في تطبيق المساواة (كلكم لآدم وآدم من تراب)[5] فلا فرق عند الله ورسوله ﷺ من حيث العرق والجنس واللون، ولا بين الرجل والمرأة، وهذه هي الشريعة السمحة التي بعث بها رسول الله ﷺ، والفطرة السليمة التي فطر الله الناس عليها في تطبيق العدل والمساواة.

إنّ العدل والمساواة يتعلقان بتطبيقات لا تنفك عن روحيهما، لا سيما في الحكم والقضاء. فعلى سبيل المثال، جاء عن سيد الحكماء والبلغاء أبي الحسن علي بن ابي طالب عليه السلام في المناقب، إنّ عمر أمر برجل يمني مُحصن فجر بالمدينة أن يرجم فقال أمير المؤمنين عليه السلام لا يجب عليه الرجم لأنه غائب عن أهله، وأهله في بلد آخر، إنمّا يجب عليه الحد، فقال عمر (لا أبقاني الله لمعضلة لم يكن لها أبو الحسن)[6]، انظر إلى تطبيق العدل مع الأخذ بنظر الاعتبار روح العدل المتمثلة بالظروف المتعلقة بالحدث وما يتطلبه الموقف من حكم حسب الشريعة السمحة، وهذا هو العدل، وهل من عدل أمضى وأتم من عدل أمير المؤمنين. روى يوسف المدائني أنّ طائفة من أصحاب الإمام علي عليه السلام مشوا إليه وقالوا يا أمير المؤمنين أعط هذه الأموال وفضّل الأشراف من العرب وقريش على الموالي والعجم، واستمل من تخاف خلافه وفراره إلى معاوية، فقال لهم (أتأمرونني ان أطلب النصر بالجور والله لا أفعل ذلك ما طلعت الشمس وما لاح في السماء نجم والله لو كان المال لي لواسيت بينهم وإنّما هي أموالهم)[7]

إنّ المساواة بين الشريف والوضيع والقوي والضعيف من الحاكم والعدل بينهما لهي قمة المساواة والعدل وهذا ديدن أمير المؤمنين والذي لا يخشى في الله لومة لائم، أليس هو القائل (أحسن العدل نصرة المظلوم) [8].

إنّ هذه الألفاظ التي ذكرناها في أول الكلام وإن تلبست علينا أول الأمر، إلّا أنّ الغموض جرّنا للبحث عن معانيها ومداليلها لتتجلى لنا وترتسم معانيها بعد تعاضد الألفاظ بالبراهين وهذا المراد، والسؤال هنا هل يجب أن نتوقف عند هذه الألفاظ أم نبحث عن غيرها؟ والجواب: لا، إذ يجب على الفرد منا البحث في معاني الكلمات المترابطة والغامضة في القرآن والسنة، ومعرفة خباياها والأمور المتعلقة بها إذ قال رسول الله ﷺ فكر ساعة خير من عبادة سنة ولا ينال التفكر إلّا من خصه الله بنور المعرفة والتوحيد.[9]

(١) سورة النساء: الآية: ٥٨.
(٢) المقنع الصدوق ص٥٤٤.
(٣) سورة النساء: ١٢٤.
(٤) سورة الحجرات: الآية: ١٣.
(٥) بحار الانوار المجلسي، ج٣١ ص ٣٥.
(٦) عجائب احكام امير المؤمنين عليه السلام، ص ٦٤.
(٧) نهج البلاغة ج٢ ابت ابي الحديد ٢٠١٧.
(٨) ميزان الحكمة ج ٢ ص ١٧٨٠.
(٩) بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ج٦٨، ص٢٢٦.

الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله

﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾

الشيخ طه حافظ خميس

إنّ صلاة الله (عزّ وجلّ) ثناؤه عليه، وصلاة الملائكة عليه الدعاء له، وصلواتهم عليه مفادها وجوب الصلاة والسلام عليه. ويحتمل وجوبها في التشهد والتسليم في الصلوات جميعاً، أو لعلّ المراد منها التسليم والانقياد لأمره والتسليم له فيما ورد عنه. إنّ الله سبحانه وتعالى أثنى عليه، وكذلك جميع ملائكته المقربين وغيرهم يثنون عليه ويعظمونه انقياداً لصلاة الله عليه. ثمّ إنّ الله تعالى يريد أن يعلم المؤمنين الصلاة عليه كما علم الأنبياء والرسل الصلاة على محمد (صلوات الله عليه وعلى آله) فنال نبي الله إبراهيم (صلوات ربي عليه) الخلّة لكثرة صلاته على محمد وآل محمد، وكلّم الله تعالى نبيه موسى عليه السلام لكثرة الصلاة على محمد وآل محمد، ثم إنّه بسبب معرفة فضل الصلاة عليه وقيمتها طلب الأنبياء عليهم السلام التقرب إلى الله تعالى والحصول على المقامات الشامخة بالصلاة على محمد وآل محمد.

معنى الصلاة

عن الإمام الكاظم عليه السلام لما سئل عن معنى صلاة الله وملائكته والمؤمنين في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تسليماً﴾[1]، فصلاة الله رحمة من الله، وصلاة الملائكة تزكية منهم له، وصلاة المؤمنين دعاء منهم له.

فضل الصلاة على محمد وآل محمد

ورد في الأثر عن النبي صلى الله عليه وآله أنّه قال في فضل الصلاة عليه: (من صلى عليّ صلت عليه الملائكة، ومن صلّت علية الملائكة صلى الله عليّه، ومن صلى الله عليه لم يبق شيء في السموات ولا في الأرض إلا صلّى عليه)[2].

وقال صلى الله عليه وآله: (أكثروا الصلاة عليّ فإنّ الصلاة عليّ نور في القبر، ونور على الصراط، ونور في الجنة)[3].

في الصلاة على محمد وآل محمد يرفع الدعاء

ولا بدّ لنا أن نعرف أن الصلاة على محمد وآل محمد هي أفضل دعاء، وشرط لرفع وقبول الدعاء. قال الامام علي عليه السلام: (كلّ دعاء محجوب عن السماء حتى يُصلى على محمد وآل محمد)[4].

جاء في الأثر عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام عن آبائه أنّه قال: (إذا دعا أحدكم ولم يذكر النبي صلى الله عليه وآله رفرف الدعاء على رأسه، فإذا ذكر النبي صلى الله عليه وآله رفع الدعاء)[5].

في الصلاة على محمد وآل محمد نيل الدرجات

كذلك في الصلاة عليه نيل الدرجات وكسب الحسنات ومحو السيئات. فقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله: (من صلى عليّ مرة كتب الله (عزّ وجلّ) له عشر حسنات ومحا عنه عشر سيئات، ورفع له عشر درجات)[6]. كما إنّ الصلاة عليه صلى الله عليه وآله تكون حاجباً لكتابة المعاصي والسيئات والذنوب، فإنّه قال صلى الله عليه وآله: (ما من أحد صلّى عليّ مرة وأسمع حافظيه إلّا أن لا يكتبا ذنبه ثلاثة أيام)[7].

(١) سورة الأحزاب، الآية

(٢) المستطرف في كل فن مستظرف، شهاب الدين محمد بن أحمد الأبشيهي: ٢/٤٧٨.

(٣) الدعوات(سلوة الحزين)، قطب الدين الراوندي، ص٢١٦.

(٤) موسوعة الامام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، السيد حسن القبانجي: ٤/١٨.

(٥) جامع أحاديث الشيعة، السيد البروجردي: ١٥/٢٤٢.

(٦) المستطرف في كل فن مستظرف، الابشيهي: ٢/ ٤٧٨.

(٧) لآلئ الأخبار، محمد نبي التوسير كاني: ٢/٤٣٤.

الصلاة على محمد وآل محمد نيل الشفاعة ودخول الجنة

قال صلى الله عليه وآله: (من صلى عليّ كنت شفيعه يوم القيامة)[8]. وقال صلى الله عليه وآله: (لن يلج النار من صلى عليّ، ومن نسي الصلاة عليّ، فقد أخطأ طريق الجنة)[9].

أخيراً.....

اللهم صلّ على محمد وآل محمد في الأولين، وصلّ على محمد وآل محمد في الآخرين. اللهم صلّ على محمد وآل محمد في الملأ الأعلى، وصلّ على محمد وآل محمد في المرسلين. اللهم أعط محمداً الوسيلة والشرف والفضيلة والدرجة الكبيرة. اللهم إني آمنت بمحمد وآل محمد، فلا تحرمني يوم القيامة رؤيته، وارزقني صحبته، وتوفّني على ملّته، واسقني من حوض محمد مشرباً روياً سائغاً هنيئاً لا أظمأ بعده أبداً إنّك على كلّ شيء قدير. اللهم، وكما آمنت بمحمد ولم أره، فعرفني في الجنان وجهه. اللهم بلغ روح محمد عني تحية كثيرة وسلاماً[10].

(٨) إمتاع الأسماع، أحمد بن علي بن عبد القادر بن محمد المقريزي: ١١/ ٩٢.

(٩) مستدرك الوسائل، ميرزا حسين النوري الطبرسي: ٥/ ٣٣٧.

(١٠) الصلاة على محمد وآله في الميزان، عبد اللطيف البغدادي، ص٢.

بأي هداية ستتمسك

محمد عامر النوري

جميعنا يتمنى ويطمح لنيل هداية الله لتتضح له الأمور؛ فيرى الحق حقاً فيتبعه والباطل باطلاً فيجتنبه، ويبتعد عن الذنوب والشهوات والمعاصي، وكل هذا بالإمكان نيله حال تمسكنا بالهداية الإلهية مستفيدين مما بيّنه القرآن الكريم، ولكل منا هداية قد شمله الله بها، كأن تكون هذه الهداية عامة تشمل الجميع مؤمناً كان او كافراً، أو خاصة تختص فقط بالمؤمنين.

والهداية هي الدلالة والإرشاد وبيان الطريق[١]. فبالهداية العامة يوفق الله الإنسان لإصابة الحق سواء بأفكاره أو أفعاله، فيبين الله له طريق الخير أو طريق الشر، والإنسان هو من يحدد طريقه، قال تعالى: ﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾[٢]، فقد بين الله طريق الحق إذ أرسل رسله، الذين بينوا عبر رسالاتهم طريق النجاة وطريق الهلاك، قال تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا﴾[٣].

اما الهداية الخاصة، فقد خصّ الله بها المؤمنين ولا تشمل الفساق والكافرين، فالمعرضون عن ذكر الله والمتجاوزون حدود الله والذين يفعلون المحرمات بإصرار من دون أن يتوبوا، هؤلاء لا ينالون الهداية الخاصة قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدىً لِلْمُتَّقِينَ﴾[٤]، وقال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُواْ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى﴾[٥].

فالله تعالى، زادهم هدىً لأنّهم آمنوا، فالهداية الخاصة تتبع حسن اختيار الإنسان وفعله للخير والصالحات، فحين يؤمن الإنسان بالحق ويتبع الأدلة يزيده الله هداية ويثبت قلبه، قال تعالى: ﴿وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ﴾[٦].

وكذلك حين يُقدم المؤمن على فعل الخير، يزيده الله توفيقاً وتسديداً، وهي مكافأة خاصة بالإنسان لإحسانه الاختيار، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾[٧]، فنرى دائماً من يُقدم على عمل الخير ينال توفيقاً دنيوياً وتتفتح له أبواب الفلاح، فطبيعة الهداية الخاصة تكون في قلب الإنسان بتقبله للحق وانشراحه له قال تعالى: ﴿أَفَمَن شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِ﴾[٨].

والهداية الخاصة أيضاً، أن يهدي الله الإنسان عن طريق كتابه العزيز، فيكون كلام الله المؤثر الرئيس في هدايته قال تعالى: ﴿قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ ،يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[٩]، والسبب في جعل الهداية خاصة لبعض عباده دون غيرهم ولم يعممها على الجميع، لأنّه يعلم أنّ بعض الناس لا خير يرتجى منهم مهما أعطاهم وبيّن لهم؛ فهم بعيدون عن الله، قال تعالى: ﴿وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا وَّهُم مُّعْرِضُونَ﴾[١٠]، فهم لا يهتدون إلّا إذا أجبرهم سبحانه وتعالى على الهداية، وهذا مخالف للسنن الإلهية، ومخالف لحكمته في اختبار خلقه. ولعلّ الله بحكمته يبتلي بعض من خصّه بهدايته في الدنيا ليجزيه المكافأة في الآخرة بجنة عرضها السماوات والأرض، فاذا أجبر الله الناس على الهداية فلن يستحق أحدٌ المكافأة يقول تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾.[١١]

إنّ الله سبحانه وتعالى أرحم الراحمين، ويتجاوز عن المخطئين، فإن تُبنا واقتربنا من الله خطوة، عندها لن يتركنا وسيهدينا، ويقربنا من الحق خطوات ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾[١٢]، فلا نيأس من رَوح الله، ولنطلب الهداية والتوفيق من الله، حتى نكون مؤهلين لنيل الهداية الخاصة فنتمسك بها.

(١) انظر لسان العرب، ابن منظور، مادة هدي، ص٣٤٤.
(٢) سورة الانسان، الآية ٣.
(٣) سورة الشمس، الآية ٧-٨.
(٤) سورة البقرة، الآية ٢.
(٥) سورة الكهف، الآية ١٣.
(٦) سورة التغابن، الآية ١١.
(٧) سورة يونس، الآية ٩.
(٨) سورة الزمر، الآية ٢٢.
(٩) سورة المائدة، الآية ١٥-١٦.
(١٠) سورة الانفال، الآية ٢٣.
(١١) سورة الملك، الآية، ٢.
(١٢) سورة العنكبوت، الآية ٦٩.

غَضُّ البصر يُبعد الانحراف

منّ الله تعالى بنعمة البصر علينا؛ كما جاء في قوله: ﴿قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلاً مَا تَشْكُرُونَ﴾ [١] وحق النعم الشكر عليها، فمن غضّ بصره فقد شكر الله تعالى، حيث لم يستعمل نعمة الله في معصيته؛ لأنّه تعالى قد أمرنا أن نغضّ من أبصارنا عما لا يحل لنا من النساء والعورات. قال تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ [٢]. فالفعل (يغضوا) مشتق من الفعل (غَضَّ) من باب (ردَّ) وتعني في الأصل التنقيص، وتطلق غالباً على تخفيض الصوت وتقليل النظر. لهذا لم يكن الأمر في الآية أن يغمض المؤمنون عيونهم. بل أمرت أن يغضوا من نظرهم. وهذا التعبير الرائع جاء لينفي غلق العيون بشكل تام، بحيث لا يعرف الإنسان طريقه بمجرد مشاهدته امرأة ليست من محارمه، لكن الواجب عليه ألّا يتبحّر فيها، بل أن يرمي ببصره إلى الأرض، ويصدق فيه القول إنّه غضّ من نظره، وأبعد ذلك المنظر من مخيلته. ويتضح لنا أنّ مفهوم الآية السابقة ليس هو حرمة النظر الحاد إلى النساء غير المحارم، ليتصور البعض أنّ النظر الطبيعي إلى غير المحارم مسموح به، بل إنّ نظر الإنسان يمتد إلى حيز واسع ويشمل دائرة واسعة، فإذا وجد امرأة من غير المحارم عليه أن يخرجها عن دائرة نظره. وألا ينظر إليها، ويواصل السير بعين مفتوحة، وهذا هو مفهوم غض النظر) [٣].

وأما ما يتناقله البعض في مجتمعنا من قول مأثور بـالنظرة الأولى لك والثانية عليك، أو هل يجوز إطالة النظرة الأولى إلى المرأة؟، أو التمعن بها بحجة أنها لا زالت نظرة أولى جائزة كما يدّعي البعض؟

فقد أجيب عن هذه التساؤلات من أكابر علمائنا، (الظاهر أنّ المقصود بالقول المذكور هو التفريق بين النظرتين، من حيث كون الأولى اتفاقية عابرة، فتكون بريئة ولا يقصد بها التلذذ الشهوي، بخلاف الثانية فإنها تكون مقصودة وهادفة طبعاً فتقترن بنوع من التلذذ، وبذلك تكون ضارة، ومن هنا ورد في بعض النصوص عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام أنّه قال (النظرة بعد النظرة تزرع في القلب الشهوة وكفى بها لصاحبها فتنة). وكيف ما كان، فمن الواضح أنّ القول المذكور ليس في مقام تحديد النظر السائغ على أساس العدد بحيث يعني تجويز النظرة الأولى وإن كانت هادفة وغير بريئة في أول حدوثها، أو انقلبت إلى ذلك في حالة بقائها واستمرارها، لأنّ الناظر لا تطاوعه نفسه من غمض النظر عن المنظور إليها ، أو تحريم النظرة الثانية وإن كانت للحظة واحدة بلا تلذذ أصلاً) [٤].

إنّ غضّ البصر هو مصداق للتقوى وطاعة لله تعالى ورسوله ﷺ التي تورث الحكمة والنور والبصيرة في قلوبنا، وهو أعظم سبيل لحفظ فروجنا، وتزكية أنفسنا وتطهيرها من أوحال الرذيلة، والانتصار على أهوائها، فإنّ في غضّ البصر استعلاء على أنفسنا الأمّارة بالسوء، وإغلاق النافذة الأولى من نوافذ الفتنة والغواية، ودليلٌ صادقٌ على قوة العزيمة، وسلامة قلوبنا من أمراض الشهوات وراحة لها مما لا صبر لنا عليه، وربّ نظرة أورثت ذلاً في الدنيا وخزياً في الآخرة.

(١)سورة الملك: الآية ٢٣.
(٢) سورة النور: الآية ٣٠.
(٣) ينظر تفسير الأمثل، الشيخ مكارم الشيرازي (١١/٧٦).
(٤) موقع سماحة المرجع الأعلى السيد الحسيني السيستاني.

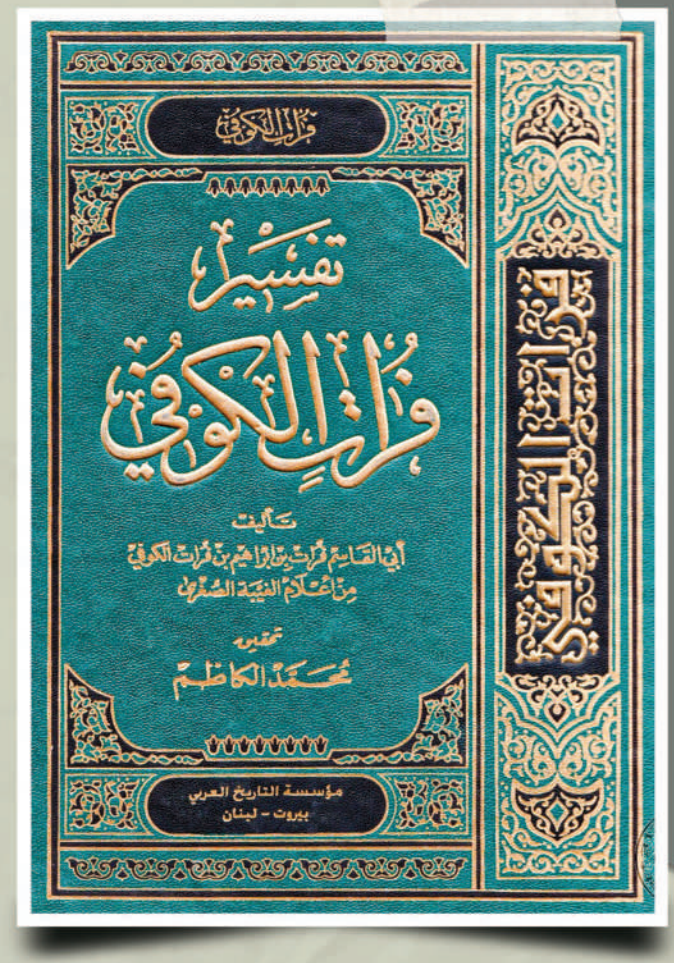

الشيخ
أبو القاسم فرات الكوفي

مفسر من أعلام الغيبة الصغرى

هو الشيخ أبو القاسم فرات بن إبراهيم بن فرات الكوفي من أعلام فترة الغيبة الصغرى، أستاذ المحدثين كثير الحديث كثير الشيوخ، من معاصري ثقة الإسلام الشيخ الكُليني صاحب كتاب (الكافي) والحافظ ابن عقدة وغيرهم، كان عصره زاخراً بالعلم والعلماء والمحدثين، وكانت الكوفة آنذاك من مراكز الحديث والعلم.

حيدر صباح عبد الرزاق

أمّا اسمه واسم أبيه وجده، فقد تردد كثيراً في أسانيد شواهد التنزيل وكتب الشيخ الصدوق، والمجموعة التفسيرية المعروفة بتفسير القمي، وفضل زيارة الحسين لابن الشجري.[١] ونسبته بالكوفي جاءت من سكنه للكوفة كما يظهر من طبقة شيوخه والرواة عنه، أمّا أنّه من أي بيت أو قبيلة فلا يوجد مصدر يذكر ذلك، وكذلك لا يوجد شيء عن حياته إلّا ما ذكره أصحاب التراجم في كتبهم وموسوعاتهم من خلال الرواة الذين رووا عنه.[٢] فلا توجد سنة لولادته ولا سنة وفاته.

يقول الحر العاملي: «فرات بن إبراهيم بن فرات الكوفيّ من مشايخ الشيخ أبو الحسن عليّ بن بابويه، وقد روى عنه الصدوق بواسطة، ونقل من تفسيره أحاديث كثيرة في كتبه»[٣]. وبدوره يقول الشيخ الصدوق: «حدثنا محمد بن الحسن بن سعيد الهاشمي الكوفي بالكوفة قال: حدثنا فرات بن إبراهيم بن فرات الكوفي قال: حدثني عبيد بن كثير..»[٤]

وقد ذكره السيد الخوئي ﷺ في معجم رجال الحديث: «فرات بن إبراهيم بن فرات الكوفي، صاحب التفسير المعروف، المقصور على الروايات عن الأئمة الهداة عليهم السلام»[٥].

وقال الشيخ أغا بزرك الطهراني في الذريعة عن تفسيره: «أكثر فيه التفسير من الرواية عن الحسين بن سعيد الذي كان من أصحاب الرضا والجواد والهادي عليهم السلام..»[٦]

وقال الحر العاملي: وهذا التفسير يتضمّن ما يدلّ على حسن اعتقاده، وجودة انتقاده، ووفور علمه، وحسن حاله[٧].

مشايخه

بلغ عدد مشايخه مائة وستة وعشرون نذكر منهم:

١. إبراهيم بن أحمد بن عمرو الهمداني.

٢. إبراهيم بن بنان الخثعمي.

٣. أحمد بن الحسين أبو علي الحضرمي.

٤. أحمد بن صالح الهمداني أبو الحسن.

٥. إسحاق بن محمد بن القاسم بن صالح بن خالد الهاشمي.

٦. إسماعيل بن أحمد بن الوليد الثقفي.

٧. جعفر بن علي بن نجيح الكندي.

٨. الحسن بن علي بن الحسن السلولي.

٩. الحسين بن سعيد الأهوازي.

١٠. علي بن أحمد بن خلف الشيباني.[٨]

أما الرواة عنه، فقد ذكروا في مقدمة تفسيره المطبوع بطهران سنة ١٤١٠هـ الطبعة الأولى، وهم:

١. أبو القاسم العلوي عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن الحسني أو الحسيني، وكذلك وقع ذكره في سند الحاكم الحسكاني في شواهد التنزيل إلى فرات، روى عنه الحاكم بواسطة أبي بكر النجار والفرّاء، وروى عنه أبو الخير مقداد بن علي الحجازي المدني.

٢. أبو الحسن محمد بن أحمد بن وليد، روى عنه في كتاب فضل زيارة الحسين عليه السلام.

٣. الحسين بن محمد بن الفرزدق الفزاري.

٤. محمد بن الحسن بن سعيد الهاشمي الكوفي أبو القاسم، من مشايخ الصدوق حدّثه في مسجد الكوفة عن فرات وغيره وروى عنه في الخصال، وإكمال الدين، ومعاني الأخبار، والأمالي.

لقد تبين من خلال مشايخ هذا العالم والرواة عنه، وكذلك ما ذكره أصحاب الرجال في كتبهم وموسعاتهم المعتمدة والقيمة عند أهل الخبرة، بأنه من أهل العلم والفضل، وكذلك تفسيره الذي أشاد به أهل الخبرة في التفسير. رحم الله هذا العالم الجليل يوم مولده ويوم مماته ويوم يبعث في مقعد صدقٍ عند مليكٍ مقتدر.

---

(١) تفسير فرات الكوفي، المقدمة، تحقيق محمد الكاظم، ص١٠.
(٢) المصدر نفسه.
(٣) هداية الأمة إلى أحكام الأئمة، الحر العاملي، ج٨، ص٥٥٤.
(٤) الخصال، الشيخ الصدوق، ص٤٥٧.
(٥) ج١٤، ص ٢٧١.
(٦) تفسير فرات الكوفي،المقدمة، تحقيق محمد الكاظم، ص٢٤.
(٧) هداية الأمة إلى أحكام الأئمة، الحر العاملي، ج٨، ص٥٥٤.
(٨) تفسير فرات الكوفي، ص٤٠

إشعاع من تحت الركام

أشرقت شمس الحقيقة بعد كسوفها بضباب أدوات التضليل الإعلامية وقنواتها، وبزيف الأنظمة الحاكمة وكذبها، وبظلمات الكفر والإلحاد وأباطيلها، لتسلط أضواءها على مدينة صمد أهلها تحت ركامها وجاهدوا بصبرهم ضد أعدائها وما كان قولهم إلا الحمد لله الذي اختارهم لبلواها.

هناك ضج آلاف المناصرين لصوت الإنسانية والمناهضين للظلم والعدوانية في مظاهرات سلمية في مختلف بقاع الكرة الأرضية بعد طوفان الأقصى والأحداث الشرسة المتتالية التي تكالبت على أهل غزة الصامدين، احتجاجاً على العمليات العسكرية والمجازر الدموية التي ارتكبت بحق المدنيين من النساء والأطفال والشيوخ الأبرياء العزل مطالبين بإيقافها فوراً.

زينب حسين

كنت من بين هؤلاء الذين حرّكهم صوت الإنسانية في بلاد الغرب فخرجت معهم أشجب وأندد وأطالب بالسلام كوني أحد الناشطين في شبكات التواصل الاجتماعي (تيك توكر) وبينما كنت أقوم بإجراء بعض المقابلات وأصورها على شكل مقاطع وفيديوهات مصورة، قابلت إحدى النساء وكانت في الخمسينيات من عمرها تقريباً عندها صدمت وزلزلت عندما سمعت وهي تبدأ حديثها بآية عن اليهود: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُواْ الْعَذَابَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾[1]، فقلت لها: مستحيل! هل قرأت القرآن الكريم؟ قالت بكلمات واثقة: بدأت أؤمن بما جاء في القرآن (الكتاب المقدس) لدى المسلمين بعدما دفعني لقراءته أهل غزة وصبرهم، وقد صدمتني تلك الآية في سورة النساء، ولو أنني قرأتها قبل ستة أشهر من الآن لقلت لك هذا ظلم كبير فكيف لإله أن يعذب عباده بهذا الشكل الفظيع!؟ لأنني أعتقد بأن بداخل كل إنسان شيء من الخير يُستحق أن يسامح ويصفح عنه مهما فعل من السيئات، ولكن بعد الذي رأيته من بشاعة ووحشية هؤلاء الصهاينة والدول التي تدعمهم أيقنت بأنهم يستحقون أضعاف من هذا العذاب الإلهي.

وأيضاً قابلت ناشطة وقد أجهشت بالبكاء عندما سألتها عن سبب تواجدها مع المتظاهرين قائلة: لقد أيقنت بأن لو كان هناك إله فإن المسلمين والفلسطينيين هم شعب الله المختار، وكما تعلم بأنّ الشجرة تعرف بثمارها، وقد لاحظت بأن الفلسطينيين يحملون ثماراً حلوة ورأيت دلائل على وجود الله بينهم في سلوكهم وتعاملهم وفي قلوبهم ورحمتهم إنهم شعب لطيف ومسالم حقاً، لقد قضيت ١١ سنة في الكنيسة ولم أر مثل هذه الثمار الحلوة، علينا أن نبذل قصارى جهدنا في النضال من أجل تحقيق العدالة لأنّهم يستحقونها ونحاول منع قوى الشر من قتلهم وإبادتهم فهم أبرياء حقاً.

كما عبرت امرأة أخرى عن تعجبها من أهل غزة قائلة: ما أراه حتى الآن من أحداث مؤلمة في غزة يستدعي الانهيار والاستسلام، لكن ما زال شعبها يتمسكون بعبادة الله وحده، ويؤمنون به بشدة على الرغم من كل الأشياء الفظيعة التي ترتكب بحقهم، كيف يحمدون الله بعد كل هذا الذي يعانونه! أنا حقاً فخورة بهم لأنهم ما زالوا يعبدون الله الأعلى ذو القوة المتين ويخافونه وحده وهذا أمر لا يصدق فعلاً، أنا أريد أن أحصل على جزء من هذا الإيمان، فلو كان لديك هذا النوع من الإيمان، فالله تعالى سيصلح لك كل شيء، لهذا أريد أن أعتنق الإسلام وأتعلم عنه أكثر، فهذا ما كنت أفتقده كثيراً، كم أتمنى أن أكون هناك مع الفلسطينيين، وأؤمن بإيمانهم، وأهتف معهم (ستبقى فلسطين حرة أبية).

وقد أذهلتني شابة في العشرينيات من عمرها بقولها: أقسم لك بأنّ عدداً كبيراً من هؤلاء المتظاهرين ومن بلاد الغرب كافة، ومن مختلف الأعراق والديانات حتى اليهودية بدؤوا بقراءة القرآن الكريم بعد أحداث غزة، وأخذوا يعتنقون الإسلام ويؤمنون به، وأنا منهم فقد دفعني الفضول إلى اقتناء القرآن وقراءة ما جاء فيه بعد مقاومة الشعب الفلسطيني وصمودهم، فقد ألهموني لقراءة آياته بتمعن، وقد أذهلتني هذه الآية: ﴿ثُمَّ أَنتُمْ هَؤُلاء تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقاً مِّنكُم مِّن دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِم بِالإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَارَى تُفَادُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاء مَن يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنكُمْ إِلاَّ خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾[2]، إنها بحق توازي ما يحصل في غزة الآن.

وقد رتلت شابة أجنبية محجبة وقد دخلت للإسلام حديثاً آيات من القرآن الكريم بعدما سألتها: ما هي رسالتك التي توجهينها لليهود الصهاينة؟ قائلة: لقد آمنت بوعد الله تعالى لهم عندما قرأت قوله تعالى: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا فَإِذَا جَاء وَعْدُ أُولاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَا أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُواْ خِلاَلَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولاً ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاء وَعْدُ الآخِرَةِ لِيَسُوؤُواْ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُواْ الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُواْ مَا عَلَوْاْ تَتْبِيرًا عَسَى رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا﴾[3].

واستوقفتني متظاهرة وهي تصرخ وتقول: لقد أوهمنا الإعلام المضلل بأن الإسلام دين إرهابي وخوفونا من التعامل مع المسلمين لعشرات السنين، وها نحن نكتشف الحقيقة بعد أحداث غزة وقوة أهلها وإيمانهم العميق، إذ هرعنا لقراءة ما يحتويه كتابهم وما جاء في دنيهم من تعاليم، وأنا بنفسي قرأت هذه الآية التي تثبت براءتهم من هذا الاتهام، إذ جاء فيها: ﴿وَقَاتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُواْ إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾[4]، لهذا أنا أدعوا الناس عامة والذين يعتقدون بأن المسلمين معتدون وهم من بدءوا بالحروب بالإطلاع على التاريخ وقراءة الأحداث ورؤية الحقائق بأنفسهم.

> **أذهلتني شابة في العشرينيات من عمرها بقولها: أقسم لك بأنّ عدداً كبيراً من هؤلاء المتظاهرين ومن بلاد الغرب كافة، ومن مختلف الأعراق والديانات حتى اليهودية بدؤوا بقراءة القرآن الكريم بعد أحداث غزة.**

ثم أردف شاب ثلاثيني ممن اعتنقوا الإسلام حديثاً قائلاً: لقد اكتشفت بأنّ الإسلام ليس ديناً فحسب، إنما هو الحياة بأكملها، فكل شيء يصلحه الإسلام مشاكلك وهمومك وعملك وتعاملك وأخلاقك، حتى ابتلاءاتك فيها صلاح لك كما يحصل الآن في غزة، فهناك من يختاره الله تعالى شهيداً وآخر يضاعف أجره وجميعهم سينصرهم عز وجل ويأخذ بثأرهم من أعدائهم إن شاء الله تعالى، فكم هو جميل هذا الإسلام.

لم تقوَ قدمي على الوقوف ولا عقلي عن التصديق عما سمعته وشاهدته فجلست منزوياً والدموع تجري على خدي خجلاً من نفسي، لأنني هربت باحثاً عن الديمقراطية والحرية والإنسانية في بلاد الغرب وفي أديانهم وشعاراتهم فوجدت أصلها في بلادي وفي ديني وفي عقيدتي.

(١) سورة النساء، الآية: ٥٦.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٨٥.

(٣) سورة الإسراء، الآيات ٤-٨.

(٤) سورة البقرة، الآية: ١٩٠.

التفاتة قرآنية

الفرق بين الأبوين والوالدين

هناك فرق بين كلمتي الأبوين والوالدين في القرآن الكريم، فإذا رأيت كلمة الأبوين فاعلم أنّ الآية قصدت الأب والأم مع الميل لجهة الأب؛ لأن الكلمة مشتقة من الأبوة التي هي للأب وليست للأم. لذا كل آيات المواريث وتحمل المسؤولية والتبعات الجسام إلّا وتكون كلمة الأبوين ليناسب ذلك للرجل؛ فالرجل هو مسؤول عن الإنفاق، فميراثه مصروف وميراثها محفوظ، قال تعالى: ﴿وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ﴾[2].

أما إذا رأينا كلمة الوالدين فاعلم أن الآية قصدت الأب والأم مع الميل لجهة الأم؛ فالكلمة مشتقة من الولادة والتي هي من صفات المرأة دون الرجل.

أما كل توصية ومغفرة ودعاء وإحسان إلّا وتكون كلمة الوالدين: ليناسب ذلك للأم: قال تعالى: (ووصينا الإنسان بوالديه إحسانا)، وقوله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾[3].

(١) سورة النساء، الآية ١١.
(٢) سورة يوسف، الآية ١٠٠.
(٣) سورة الإسراء، الآية ٢٣.

لطائف قرآنية

حَصب وحَطب

رغم اختلاف التعبير في آيتين كريمتين من آيات القرآن الكريم بالنسبة إلى ما يلقى في نار جهنم بهدف الإحراق لكن النتيجة واحدة وهي الاحتراق، لكن هناك فرقاً لطيفاً بين التعبيرين.

التعبير الأول في قوله عَزَّ وجَلَّ: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ﴾[1]، والحَصَبُ هي جمع حصبة وهي الحجارة والحصى الصغيرة التي تُقذف باليد أو بالآلات اليدوية، وقد أكد القرآن الكريم بأن مصير العابدين للأصنام كمصير الأصنام فكلها تُقذف في نار جهنم لتحترق.

أما الثاني فورد في قوله عَزَّ مِنْ قائل: ﴿وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾[2].

(١) سورة الأنبياء، الآية ٩٨.
(٢) سورة الجن، الآية ١٥.

والقاسطون هُم الجائرون عن الحق والمنحرفون عنه، ومصير هؤلاء أيضاً هو الاحتراق في نار جهنم، لكن الفرق في التعبير فمرة قال الله تعالى أن القاسطين هم حطب جهنم أي أنهم يحترقون كما يحترق الحطب، ومرة عبّر بأن الذين يعبدون الأوثان هم وقود جهنم أي المادة المشتعلة والتي هي أعم من الحطب كما هو واضح، الأمر الذي يؤكده القرآن الكريم في موضع آخر حيث يقول: ﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾.[3]

وقد يُتصور فرقاً لطيفاً بين الحطب والحصب، وهو أن الله عَزَّ وجَلَّ أراد احتقار الأوثان التي تُعبد من دون الله وتشبيهها بالحصى الصغيرة التي لا قيمة لها ولا هيبة، فترمى في نار جهنم مع من كانوا يعبدونها.

(٣) سورة البقرة، الآية ٢٤.

آية وتأويلها

(سورة الزخرف)

وما فيها من الآيات في الأئمة الهداة ﷺ، منها في قوله تبارك وتعالى: ﴿فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ﴾[1].

التأويل: روي عن جابر بن عبد الله الأنصاري أنّه قال: إني لأدناهم من رسول الله ﷺ في حجة الوداع بمنى إذ قال: لا ألفينكم ترجعون بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض، ولأيم الله لئن فعلتموها لتعرفنني في الكتيبة التي تضاربكم، ثم التفت إلى خلفه وقال: أو علي أو علي – ثلاث مرات -فرأينا أنّ جبرئيل قد غمزه، فأنزل الله سبحانه في أثر ذلك ﴿فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ﴾ بعلي بن أبي طالب ﷺ.

وعن حذيفة بن اليمان قال: قوله تعالى: ﴿فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ﴾ يعني: بعلي بن أبي طالب ﷺ.

المصدر: تأويل الآيات، الاسترابادي النجفي، ج٢، ص٥٥٨.

(١) ـ سورة الزخرف، الآية ٤١.

هل تعلم

أنّ آخر آية نزلت من القرآن الكريم هي المتضمنة لقوله تبارك وتعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا..﴾،[1] فهي نزلت بعد أن قال رسول الله ﷺ لعلي ﷺ في غدير خم: «من كنت مولاه فعلي مولاه» فلما نزلت، قال ﷺ: (الله أكبر على إكمال الدين وإتمام النعمة ورضاء الرب برسالتي وولاية علي ﷺ بعدي).[2]

(١) سورة المائدة: الآية ٥.

(٢) روح المعاني، للآلوسي، ج٤، ص٩١.

وقفة بلاغية

﴿واخفض لهما جناح الذل﴾

قال تعالى في سورة لقمان الآية (٢٤): ﴿وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾، وهنا تشبّه هذه الآية المباركة الذّلّ بالطّائر ذي الأجنحة، وكأنّ الآية تُريد من المؤمن أن يكون في برّه وخضوعه لوالديه كالطّائر الحنون الذي يُرفرفُ بجناحه عليهما. وعن الإمام أبي عبد الله الصادق ﷺ قال: (معناه لا تملأ عينيك من النظر إليهما إلا برأفة ورحمة ولا ترفع صوتك فوق أصواتهما ولا يديك فوق أيديهما ولا تتقدم قدامه)[1].

(١) تفسير الميزان، العلامة الطباطبائي، ج١٣، ص٩٨.

الكاظمين الغيظ

مكتبة
العتبة الكاظمية المقدسة

الأمانة العامة للعتبة الكاظمية المقدسة
مكتبة العتبة الكاظمية المقدسة

تعلن الأمانة العامة للعتبة الكاظمية المقدسة
عن قرب افتتاح
(مكتبة العتبة الكاظمية المقدسة)
والتي تضم آلاف الكتب في مختلف العلوم والمعارف،
وتبدي استعدادها لاستقبال الطلبة والباحثين الكرام